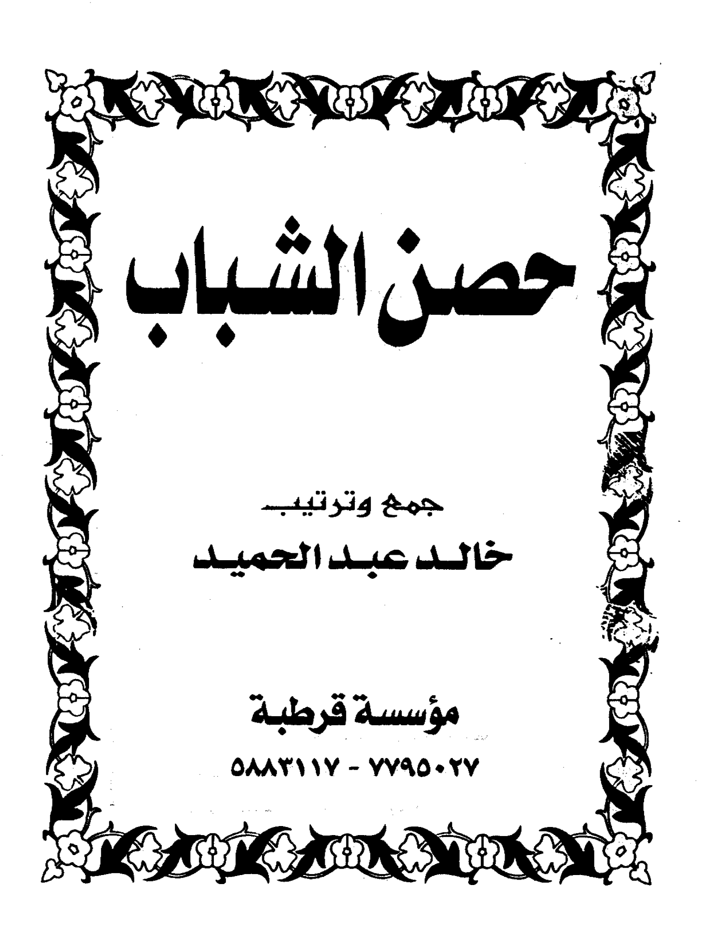


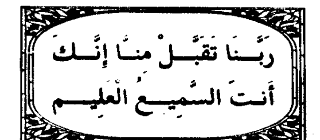
حصن الشباب

جمع وترتيب

خالد عبد الحميد

مؤسسة قرطبة

٥٨٨٣١١٧ - ٧٧٩٥٠٢٧



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع

٢٠٥٣٧/ ٢٠٠٧

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٦٠٠٥٥٢

الناشر مؤسسة قرطبة
٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٥٨٨٣١١٧

مؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع
٦٤ شارع الخليفة مدينة
الأندلس - الهرم
ت: ٧٧٩٥٠٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة د. أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده. . .
وبعد: فـإنّ من أهم مراحل عمـر الإنسان - مرحلة الشـباب - ولذا فإن النبى ﷺ بيَّن أن مما يُسأل عنه المرء يوم القيامة شبابه فيما أبلاه، فضلاً عن سؤاله عن عمره، فبيَّن أن هذه المرحلة لها أهمية خاصة بالنسبة لسـائر العمر، ولهذا تمنى ورقة بن نوفل أن يكون شابًا عند بعثة النبى ﷺ.

ومن السبعة الذين خصهم رسول الله بالذكر فيمن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله شاب نشـأ فى طاعة الله، ولما كانت شهوات الشاب أشـد دفعًا وأكثر توقدًا من شـهوات الشيخ، بيَّن النبى ﷺ أنَّ من الثلاثة الذين لا يزكيهم الله ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة - شيخ زان - وذلك لضعف دافع الشهوة عنده، فكأن الفاحشة صارت له سجيةً وخلقًا.

ومن هنا تـأتى أهميـة هذه الرسالة فـى تناولها لـقضيـة من القضـايا المهمـة فى الوقت المعاصـر، لا سيمـا والشبـاب يهدر

ويضيع أثمن سنوات حياته فى غير طاعة ربه وسيندم على تلك الأوقات وهذه الساعات، فجزى الله خيرًا كاتبها، ونفع الله بها من قرأها.

والله من وراء القصد

د. أسامة سليمان

من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ/ محمود المصرى (أبو عمار)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد: فلقد اطلعـت على بعض الأجزاء من كتاب «**حصن الشباب**» للأخ الحبيب الشيخ/ **خالد محمد عبد الحميد دسوقى** فوجدته طيـبًا نافعًا. . فأسأل الله - جل وعـلا - أن يجعله فى ميزان حسنات كاتبه، وأن يرزقه السداد والرشاد.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمـود المصـرى

(أبو عمار)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . أما بعد..

فإنَّ الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار فى آخره كما تملؤه فى أوله، والشباب هو باكورة الحياة، فأطيب العيش أوائله كما أنَّ أطيب الثمار بواكيرها، ومرحلة الشباب هى أخصب مراحل العمر، وسن الشباب هو سن ذروة العطاء، والشباب أنفسهم فى كل أمة عماد نهضتها، وفى كل نهضة سر قوتها، وفى كل فكرة حامل رايتها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣).

قال رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله - قال منهم - شاب نشأ فى طاعة الله» [١].

وقال عقبة بن عامر وكان من أصحاب النبى ﷺ : «إنَّ الشاب المؤمن لو يقسم على الله لأبره».

وقال أبو موسى: «طوبى لمن وُقي شر شبابه».

وعن عقبة: «إنَّ ربَّك يعجب للشاب لا صبوة له».

الصبوة: الهوى والميل عن طريق الحق.

(١) متفق عليه.

وقيل: (ما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب).

قال علي ﷺ:

شيئان لو بكت الدنيـا عليهما عـينـاى، حتى تأذنا بـذهاب
لم تبلغ المعشار من حـقهـما فقد الشباب، وفرقة الأحباب

وقال ابن الجـوزي: (لو أن أيام الشباب تبـاع لبذلنا فيـها أنفس الأنفاس).

* ومن أهم القضايا الـتى تشغل قلوب الشباب قضـية "الشهوة والغريزة"، فـالشباب فى هـذه الآونة يعانى من تناقض شـديد بين القيم والأخـلاق الدينية التى يقـرؤها ويسمع عنهـا، والواقع الأليم المرير الذى يعيش فيه، وبين هذا وذاك لا يجد الشباب سبيلاً إلا أن يؤمن بالأول ويساير الثانى!

* ونحن لا نرمي فى هذه الرسالة إلى رصـد الواقع أو انتقاده، بل حاولنـا جمع بعض الحلول لتـغيـيـر هذا الواقع، كما قـال أحد الحكماء: (بدلاً من أن تـلعن الظلام أوقد شمعـة)، ونحن لا نوقد هذه الشمـعة للإعلام الفاسـد، ولا للصحافة الهـابطة، ولا للآباء الجُهّال فـإنّ لهؤلاء وغيرهم كـلامًا آخر ليس مقـصودنا الآن، وإنما نوقدها للشباب الذين هم وقود آلات التغيير.

* وقد يظن أحبابنا وإخواننا الشباب أن هدفنا هو التضييق عليهم

أو كبت طاقاتهم، أو تقييد حرياتهم وليس هذا - والله - القصد، بل أردنا إنقاذ الشباب الذين غلبتهم الشهوات فأصبحوا فى نارها يعذبون، فنأخذ بأيديهم إلى الأسباب التى تنجي من هذا العذاب، فإنّ أعظم الناس غمًا وهمًا من بعثت شهوته، وضاقت مقدرته.

* قال مصطفى السباعى: (ضبط الغريزة لا يعنى كبتها، فالضبط تنظيم الطاقة، والكبت إنكارها، وكل قوة إن لم تضبط ذهبت هباءً أو كانت أداة للتخريب)[1].

وقال آخر: (إن الإسلام حين يضع للغريزة ضوابط أخلاقية، محددة، معينة، لا يعزلها عن نظامه، وإنما يفعل ذلك فى ضوء تقديره لطبيعة الكائن البشرى واحتياجاته النفسية وأشواقه الروحية ومتطلباته البدنية فى تكامل تام مع مختلف شئون حياته، فى توازن وبدون إخلال.

وبهذا يتميز الإسلام عن كل القوانين البشرية الوضعية، ويتفرَّد فى قدرته على تنظيم الحياة الإنسانية تنظيمًا راقيًا ودقيقًا، ليصون كرامتها التى شرَّفها بها الخالق - سبحانه وتعالى -)[2].

* إن مشكلة الغريزة سهم فى صدر الشباب المسلم، إما أن

---

(١) هكذا علمتنى الحياة، للدكتور مصطفى السباعى.

(٢) الحب والجنس من منظور إسلامى، لمحمد على قطب، ص ١٢٣ بتصرف.

يهلكهم وإما أن يهيج فى نفوسهم روح الغضب فيبعثهم على تغيير هذا الواقع الأليم.

* وليس لى فى جمع هذه الرسالة من الافتخار أكثر من حسن الاختيار؛ فاختيار المرء قطعة من عقله، وكما قال ابن الجوزى: (لكل شيء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار) فالتقطنا ثمارها من بساتين علماء المسلمين وحكمائهم، فإن بساتينهم زُرعت على أرض الكتاب وسقيت بماء السُّنَّة، ونحن نعتقد اعتقادًا جازمًا أن الإسلام دين كل العصور يصلح لإصلاح كل المجتمعات فى كل الأمكنة وكل الأزمان.

* إخوانى الشباب... العالم لا ينتظر مثل هذه الرسالة لتغييره، بل ينتظر شبابًا ينفث فى صورة الإسلام نبض الحياة فيتغير بالإسلام، ويغير العالم بما فى هذا الدين من عقيدة وأخلاق وآداب، وساعتها سنسطر قصص هؤلاء الشباب فى رسائل لتكون ذخيرة لإخوانهم وعدةً لمن بعدهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفقير إلى الله

خالد عبد الحميد دسوقى

شهوات الإنسان

معنى الشهوة

* الشهوة معروفة، وهى كما قال الفيروزابادى: نزوع النفس إلى ما تريده وذلك فى الدنيا نوعان: صادقة، وكاذبة.

فالصادقة: ما يختل البدن بدونها، كشهوة الطعام عند الجوع.

والكاذبة: ما لا يختل بدونها البدن كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩)[١].

الشهوة مطلوبة

* ومن هذا الكلام يُفهم أن الشهوة لازمة ومطلوبة فى بعض الأحيان، بل قد تكون الشهوة طاعة لله عز وجل إن نوى المؤمن بتناولها التقوي على طاعة الله وقد كان هذا دأب السلف الصالح، قال معاذ بن جبل: «إنى لأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى». قال ابن رجب الحنبلى: يعنى: أنه ينوى بنومه التقوي على القيام فى آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه[٢] وهكذا يمكن أن يفعل المؤمن فى سائر الشهوات المباحة كالأكل والشرب وجماع الزوجة، وممارسة الرياضة المباحة ونحو ذلك.

---

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروزابادى جـ٣ صـ ٣٥٨ بتصرف بسيط واختصار.
(٢) جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلى - صـ ٣٩٩.

الشهوة محذورة

* والشهوة أيضًا محذورة فى كثير من الأحيان، ومأمور بمخالفتها، وذلك فى حالة كونها فى غير محلها الشرعى. يعنى: أنها أصلاً محرمة كالنظر إلى النساء الأجنبيات.

أو فى حالة أنها مباحة ولكنها تلهي عن ذكر الله تعالى وعبادته، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤)، وإنما ذم هذه الشهوات لأنها مادة كل فتنة ومنبع كل فساد.

فإن فى اتباعها فساد العالم وهلاك البشر؛ بل إن الحيوانات إنما تهلك بالشهوات!

قال أبو بكر الطرطوشى: إنما يهلك الحيوان بالشهوات: ألا ترى أن الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها، ويعجبه ضياء النار فيدنو منها فتحرقه، والسمك فى البحر تحمله لذة الطعم أن يبتلعه فتحصل الصنارة فى جوفه فيكون حتفه[1].

وقال بعض الحكماء: (كما أنه قبيح إذا ركبنا الخيل أن تجرى بنا حيث أرادت دون أن نديرها، كذلك قبيح أن يجرى البدن والنفس بالعقل حيث أرادت الشهوات).

ومخالفة هذه الشهوات شديد على النفوس لكونها تمس الفطرة

(١) سراج الملوك - لأبى بكر الطرطوشى - صـ ٥٢٢ - باختصار.

التى ركّبها الله فى الخلق ومع هذا فإن هذه المخالفة فى إمكان كل إنسان ولو لم تكن كذلك لما أمر بها المولى - عز وجل -.

واعلم - أخى الشاب - أن الجزاء من جنس العمل فمن خالف شهواته لله عز وجل أورثه الله لذة فى قلبه تكون عوضًا له عن تلك اللذة الفائتة حتى إنه ليتلذذ بمشاق الطاعة.

كما قيل:

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب
وأنت عندى كروحى ... بل أنت منها أحب
حسبى من الحب أنى ... لما تحب أحب

حتى إن طائفة من العلماء قالوا: إن صالح البشر أفضل من الملائكة لأن البشر ابتلوا بدواعى النفوس والشهوات أما الملائكة فعبادتهم بريئة من كل هذا. ومع هذا يخالف البشر هذه الشهوة لله عز وجل فيصبح بهذا أفضل من الملائكة[1].

إياكم وإدمان الشهوات

أما إدمان الشهوات فمن أخطر الأمور على دين العبد ودنياه، فلو أن واحدًا أطلق عنان شهواته ورغباته وأهوائه حتى ألف المعاصى واعتادها لما ذاق بعدها لذة، ولا شعر براحة فهو يشبه فى هذه الحالة

(١) وفى المسألة كلام كثير للعلماء - راجع طريق الهجرتين - لابن القيم - صـ ٢٧٢.

شارب الخمر يتجرع مرارته مرارًا ولا يتركه ويشبه أيضًا شارب ماء البحر كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يكون من الهالكين، والسبب الأعظم فى هذا أنه خالف دينه وعقله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ألا يا خائضًا بحر الأمانى هداك الله ما هذا التوانى
أضعت العمر عصيانًا وجهلا فمهلا أيها المغرور مهلا
مضى عمر الشباب وأنت غافل وفى ثوب العمى والغي رافل
إلى كم كالبهائم أنت هائم وفى وقت الغنائم أنت نائم
وطرفك لا يرى إلا طموحا ونفسك لم تزل أبدًا جموحا
وقلبك لا يفيق من المعاصي فويلك يوم يؤخذ بالنواصى
بلال الشيب نادى فى المفارق بحي على الذهاب وأنت غارق
ببحر الإثم لا تصغى لواعظ ولو أطرى وأطنب فى المواعظ
وقلبك هائم فى كل واد وجهلك كل يوم فى ازدياد
على تحصيل دنياك الدنية مُجدًا فى الصباح وفى العشية
وجهل المرء فى الدنيا شديد وليس ينال منها ما يريد
وكيف ينال فى الأخرى مرامه ولم يجد لمقلبها قلامه

• يوسف أيها الصديق أفتنا:

محنـة عظيمـة وصبـر عجيـب!

* فها هـو يوسف (عليه السلام) قـدوة فى هذا الباب. فهـو إمام لكل من وضع فى موضع غلـبة الشهوة فغلبهـا، وهو حجة على كل من ضعف أمام شهواته فاستسلم لها.

فقد تعرَّض يوسف (عليه السلام) لبـلية شديدة، ومحنة عظيمة ألا وهى مراودة امرأة العزيز إياه.

* ففى قصر الـعزيز والأبواب مغلقة، نرى هذا المشهـد العجيب، امرأة العزيز تراود فـتاها وهو يوسف (عليه السـلام) عن نفسه، وهى التى كانت بالأمس بمنزلة أمـه فالآن تغيرت نظراتها إليـه، فقد أصبح شابًا، وكـان يوسف (عليـه السلام) آية فى الجـمال الظاهر والجـمال الباطن فتعلق بقلبها حتى دخل حبّه سويداء قلبها فلما تمكن الحب من قلبهـا لم تجد سبيلاً إلـى الوصول إلى قلبه إلا الوصـال الحرام، فأبى ورفض وهرب فـأسرعت وراءه وجذبتـه من قمـيصه بعـد أن غلّقت الأبواب وأمّنت المكان فرفض فى صراحة وصرامة واستعصم، فتوعدته بالسجن إن لم يفـعل بها ما أمرت فآثر السجن الـذى فيه رضى مولاه على الفاحشة مع كثرة الدواعى والمغريات.

المغريـات كثيرة

* وقد ذكر العلماء هذه الدواعى ولخصوها فيما يلى:

١ - أنها هى الطالبة فطلبت وأرادت وراودت وبذلت الجهد فكفت

يوسف (عليه السلام) مؤونة الطلب. قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ فهى الطالبة.

٢ - أنه فى بيتها وتحت سلطانها وقهرها، قال تعالى: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ إذ يخشى إن لم يطاوعها من أذاها.

٣ - قال تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ فكان الأمن سابقًا للطلب.

٤ - قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ فعرضت نفسها عليه صراحة.

٥ - توعدته بالسجن والصغار فقالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

٦ - أنَّ الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما يصرف به بينهما ويبعد كلاً منهما عن صاحبه بل كان غاية ما خاطبهما به أن قال ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وقال للمرأة: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٢٩).

٧ - أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال وهنَّ النسوة اللاتى قلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٨ - أن يوسف شابٌّ معافى، والرجل يميل إلى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام.

٩ - أن يوسف كان فى سن الشباب، وشهوة الشباب وحدَّته أقوى.

١٠ - أنه كان عزبًا لا زوجة ولا سرية تكسر شهوته.

١١ - أنه كان غريبًا فى بلاد غربة والمقيم بين أهله يستحى منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم فإذا تغرب زال هذا المانع.

١٢ - أنه كان مملوكًا لها فى الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه.

١٣ - أنه لا يخشى أن تنمي عليه أو تفضحه لأنها هى الطالبة.

١٤ - أنها ذات منصب وجمال.

* وبعد كل هذه المغريات يؤثر يوسف - الصديق - السجن على الوقوع فى هذه الفاحشة فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٢٤).

ثم يرفع أكف الضراعة، ويظهر فاقته وضعفه إلى الله فيقول: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فكانت النتيجة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٢٤).

من فوائد هذا المشهد

* ويستفاد من هذا المشهد فوائد عديدة[١]:

منها: الحذر من الخلوة بالنساء اللاتى يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضًا من المحبة التى يخشى ضررها، فإنَّ امرأة العزيز جرى منها ما

---

(١) هذه الفوائد ملتقطة من تفسير "تيسير الكريم الرحمن" للعلامة السعدى فى تفسير سورة يوسف.

جرى بسبب انفرادها بيوسف وحبها الشديد له الذى ما تركها حتى راودته تلك المراودة ثم كذبت عليه فسجن - بسببها - مدة طويلة.

ومنها: أن الهمَّ الذى هم به يوسف بالمرأة ثم تركه لله مما يرقيه إلى الله زلفى لأن الهم داع من دواعى النفس الأمارة بالسوء وهو طبيعة لأغلب الخلق فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته غلبت محبة الله وخشيته داعى النفس والهوى فكان ممن ﴿**خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله وإنما الهم الذى يلام عليه العبد الهم الذى يساكنه ويصير عزمًا ربما اقترن به الفعل.

ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه وكان مخلصًا لله فى جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصى ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله: ﴿**وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف: ٢٤) على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح فإنه من إخلاص الله إياه وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه فلما أخلص عمله لله أخلصه الله وخلصه من السوء والفحشاء.

ومنها: أنه ينبغى للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصيته أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه ليتمكن من التخلص من المعصية لأنَّ

يوسف (عليه السلام). لما راودته التى هو فى بيتها - فرَّ هاربًا يطلب الباب ليتخلص من شرها.

ومنها: أن يوسف (عليه السلام) اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغى للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة فى الدنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان أن يكره العبد أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار.

ومنها: أنه ينبغى للعبد أن يلجأ إلى الله ويحتمى بحماه عند وجود أسباب المعصية ويتبرأ من حوله وقوته لقول يوسف (عليه السلام): ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣).

الإباحية تدمر الحضارات!

بلاد تنهار

* إن التاريخ يذكر لنا الانحلال الذى أصاب بلاد الإغريق فى آخر عهدهم وكيف قضى انتشار الزنا واللواط على حضارتهم كما قضى على الدولة الرومانية والدولة الكسروية حين أباح الزنديق مَزدك أيام كسرى قباذ نكاح المحارم وأطلق أيدى الناس فى العهر والفجور بكل أنواعه وتغلغل ذلك حتى فى الأسرة المالكة وكان ذلك هو السبب فى القضاء على مزدك وحركته الخلاعية[١].

(١) الأمراض الجنسية - للدكتور محمد على البار عن الزنا والشذوذ، للخطيب العدنانى.

* وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات وبلوغ الشهوات والأكل من كل شيء ومواقعة كل امرأة وغلام إلا ما ضر بالصحة أو كان به نزاع أو شجار.

* فليسأل دعاة الإباحية التاريخ هل انهارت أقوى الأمم إلا بمثل أفكارهم الجنسية التي تدعو إلى الاختلاط والعرى وإذابة الفروق الجنسية؟!

والغرب على آثارهم مقتدون

* ولم تشهد الإباحة الجنسية انتشارًا وشيوعًا في الزنا واللواط ووطء المحارم والاغتصاب في النساء والأطفال والبهائم والحيوانات والعلاقات الجنسية الشاذة والانهماك في المسكرات والمخدرات ما تشهده اليوم في ظل الحضارة الغربية.

* وقد ظهر نتيجة هذا الانتشار مزيد من القلق والانتحار والأمراض الجسدية والنفسية وأصبحت شبحًا مخيفًا أقلق الخاصة والعامة.

يقول "جيمس رستون": (إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية)[1].

وهذا صحيح فقد وصلت أرقام المصابين بمرض السيلان (الجونوريا) ٢٥٠ مليون إصابة في العالم كل عام، وبلغت إصابة الزهري ٥٠ مليون سنويا، أما الهربس فبلغ عدد المصابين منه في أمريكا وحدها ٢٠ مليون، أما الإيدز فهو لا يصيب أساسًا إلا

(١) الحب والجنس من منظور إسلامي... ص ١١٦.

الشاذين جنسـيًا وقد أصبح وباءً مخـيفًا يتخلل العالـم من حين لآخر ففى كل يوم تظهر له إصابة فى بلد. . . واغـتصاب الفتيات والأطفال أمر شائع فى الدول الـغربية، تقول إحدى الصـحف: إن هناك مليون حالة اغتصاب للأطفال فى كل عام فى أمريكا مضافًا إلى انتشار العادة السرية بين الرجال والنساء.

أضف إلى هذا:

١ - كثرة أولاد الزنا الذين لا يعلمون آباءهم.

٢ - ظهور الاستمتاع بل والزواج بالدواب مثل الكلاب.

٣ - ظهور الـعقم فى النسـاء نتيـجة للمـمارسات الجنـسية غـير الصحيحة.

٤ - ظهور أساليب منحـطة من العلاقات الزوجية مثل (جـمعيات تبادل الزوجات).

٥ - ظهور نـوادى العراة، وأفلام الجـنس كنوع من الميـراث لهذه الأجساد التى فسدت.

٦ - ورغم شيوع هذا كله فقد ظهرت فى هذه البلاد بيوت الدعارة وبيع الأجساد وعرضها.

٧ - وتبعًا لذلك غرقت هذه البلاد فى بحر المخدرات والمسكرات، وحوادث السرقات وغيرها[1].

---

(١) الشباب فى مرآة الإسلام - عبد الخالق حسن الشريف - صـ ٢١٢ - وقد اقتصرنا على بعض النقاط فقط.

شباب غير صالح للتجنيد

في سنة - ١٩٦٢ - قال الرئيس الأمريكي الأسبق (جون كيندي):
(إن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع مُنحل، غارق في الشهوات، لا يُقدِّر المسئولية الملقاة على عاتقه، وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين!!؟ لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبيَّة والنفسية)[1].

وصدق من قال: (من سقط أمام المعاصي والشهوات يوشك أن يسقط أمام الأعداء في المواجهات).

من أسرار هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية

لقد عزا "الماريشال بيتان" قائد القوات الفرنسية في الحرب العالمية الثانية، هزيمة فرنسا السريعة في وجه الغزو الألماني، إلى ما كان عليه المجتمع من انحلال وتفكك واستغراق في الشهوات والملذات.

وهذا ما أكده من بعد الكاتب الفرنسي "أندريه مُوروا" في كتابه: (أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية) - في دراسة مستفيضة -، قال: «من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسُّخ الشعب الفرنسي نتيجة انتشار الرذيلة بين أفراده».

إن الهزيمة نتيجة طبيعية للانحلال الأخلاقي الذي يؤدي بدوره إلى الفساد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.. فإن التفكك الأسري وإهدار الثروات القومية والانحراف الفكري ما هي إلا نتائج شيوع

(١) الحب والجنس من منظور إسلامي.. ص ١١٩.

الفواحش وانتشار الرذائل.. فالأخلاق هى ترياق النجاح والنصر، ولهذا كان من أهداف رسالة النبى ﷺ نشر القيم وزرع السلوكيات الحسنة فى نفوس الناس حتى قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

هم فى واد ونحن فى واد آخر

يا شباب... الغرب لهم فلسفة ترجمها الله فى كتابه فقال: إنَّ أمثالهم قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧) فليس لهم غاية أخروية يعيشون من أجلها ولا يعملون فى سبيل تحقيقها، ولهذا أفنوا حياتهم فى اللذات والشهوات، أما نحن فقد أخبرنا الله عز وجل عن الغاية التى من أجلها خلقنا فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) فهم فى واد ونحن فى واد آخر.

الحب بين الشباب

الحب فطرة

* القلب كالبيت، ولا يخلو بيت من سكان، ولا يخلو قلب من أخلاق، ومن هذه الأخلاق "الحب" فالحب نعمة منَّ الله تعالى بها على عباده قال النبى ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[1].

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير وقال صحيح، وقال الهيثمى: رجاله رجال أحمد رجال الصحيح.

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

* ولكن هنا لابد أن يسأل الشاب نفسه عدة أسئلة وهى: من يحب؟.. وكيف يحب؟.. ولماذا يحب؟

النبى ﷺ يشفع للمتحابين

* ولقد كان النبى ﷺ يحب السيدة عائشة، ولما سُئل عن أحب الناس إليه قال: (عائشة)(١).

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها يقول: حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات(٢) وقال ﷺ: «لم نر للمتحابين مثل النكاح»(٣) وكان يشفع للمتحابين؛ ففى الصحيح أن مغيثًا كان يمشي خلف زوجته بريرة بعد فراقها له وقد صارت أجنبية عنه ودموعه تسيل على خديه فقال النبى ﷺ: يا بن عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثًا! ثم قال لها: لو راجعته.

فقالت: أتأمرنى؟ فقال: إنما أنا شافع. قالت: لا حاجة لى فيه(٤).

خلاصة القول

* وخلاصة القول أن ما نسميه اليوم حبًا كانوا يسمونه عشقًا ويذمونه وما نسميه اليوم "نهاية الحب" أو بمعنى آخر "الزواج" كانوا

---

(١) متفق عليه. (٢) روضة المحبين لابن القيم - صـ١٨٨.
(٣) أورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة. (٤) رواه البخارى.

يطلقون عليه اسم الحب ويمدحونه.

لماذا ذموا العشق؟

* وإنما ذمُّوا العشق لكثرة آفاته وأضراره فمن ذلك: الاشتغال بذكر المحبوب عن ذكر الله تعالى وبحبه عن حب الله تعالى وبالفكر فيه عن الفكر الذى خلق له، من معرفة الله والخوف منه، والقرب إليه، فكلما قرب من هواه بعد عن مولاه، ولا يكاد يقع العشق فى الحلال المقدور عليه، فإن وقع، فيا سرعان زواله! قال الحكماء: كل مملوك مملول وأيضًا من آفاته: عذاب القلب، فإن من أحب شيئًا غير الله عُذب به فى الدنيا والقبر والآخرة، وأيضًا الذل الذى يعانيه العاشق، فإنّ قلبه يكون أسيرًا فى قبضة المعشوق والمؤمن لا يذل نفسه، وأيضًا: أنه يفسد البدن وينحل أجساد الشباب فضلاً عن الشيوخ.

وأيضًا: فإنه يورث الهم الدائم والفكر اللازم، فالوسواس والأرق وقلة المطعم وكثرة الشهوة من نتائجه وكل هذا يصيب القلب والبدن بالأمراض.

وأيضًا: قد يدفع العشق إلى السرقة أو الخيانة أو القتل أو الكفر الصريح أو غير ذلك من الجرائم وقد رأينا فى الواقع ما يؤيد هذا.

قالوا فيه:

سَهْلُ الهوى وعْرُ ... حلو الهوى مُرٌّ

برد الهوى حرٌّ ... يوم الهوى دهرُ

سر الهوى جهرُ

وقالوا:

فى القلب منى نار	والنار فيها شرار
والجسم منى نحيل	والليل فيه اصفرار
والعين تبكى بشجو	فدمعها مدرار
والحب داء عسير	فيه الطبيب يحار
حَمَلْتُ منه عظيمًا	فما عليه اصطبار
فليس ليلي بليل	ولا نهارى نهار

لا تستصغروا هذا الداء

* فيا شباب... لا تستصغروا هذا الداء فإنه قد يقترن به ما يعظمه حتى يغلب الفاحشة، قال ابن القيم: قد يقترن بالفاحشة من العشق الذى يوجب اشتغال القلب بالمعشوق، وتأليهه له وتعظيمه، والخضوع له والذل له، وتقديم طاعته وما يأمر به على طاعة الله ورسوله وأمره، فيقترن بمحبة خدنه - يعنى: صاحبه - وتعظيمه وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، ومحبة من يحبه، وكراهة ما يكره، ما قد يكون أعظم ضررًا على صاحبه من مجرد ركوب الفاحشة. فإن الإصرار على الصغيرة قد يساوى إثمه إثم الكبيرة، أو يربي عليها[1].

(١) اقتبسنا آفات العشق من الداء والدواء - ذم الهوى - إغاثة اللهفان، وتصرفنا تصرفًا بسيطًا.

مشكلة... وعلاج

* ومع هذا كله قد يرى الشاب أنَّ الحياة لا تطاق بدون هذه الفتاة، ولا يتصور أن يتزوج غيرها مع كثرة الموانع والعوائق، وقد تصاب الفتاة أيضًا بهذا الشعور.

وعلاج هذا يكون في أشياء:

أ - أن تعلم أن القدر واقع شئت أم أبيت، وما قدر لك ستلقاه، فإنَّ الله عز وجل قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، قال ﷺ: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[١]، وقال أيضًا ﷺ: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقى أم سعيد؟ فيكتبان، فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص»[٢] فلو قدر لك أن تتزوج فلانة لوقع هذا ولو كثرت الموانع وبدون أن تعصى الله عز وجل، أما سمعت في حياتك عن شاب من بلد معين قابل فتاة في بلد آخر تبعد عنها آلاف الكيلو مترات وقد كان هناك لقضاء حاجة أو بسبب وظيفته فلما رآها أعجبته فتزوجها؟!

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

ولهذا نقول: أرح نفسك، واستسلم لقضاء الله وقدره تسلم.

فلماذا تعذب قلبك، وتجلب لنفسك الأحزان والآلام إذا فقدت هذا المحبوب.

* وقد قيل: إذا صبرت مضى عليك القدر وأنت مأجور وإذا جزعت مضى عليك القدر وأنت مأزور؟!

ب - أن تعلم أن المفقود دائمًا مرغوب، وأن المملوك دائمًا مملول، وما تتمناه اليوم ستمله غدًا، ولكن الشيطان يزين لك هذا الشيء المحرم، ولو نظرت فى العواقب قد ترى من الآفات أكثر من اللذات، وكم من شاب حصل له ما يريد ثم ندم على هذه الزيجة وقد يصل به الأمر إلى الفراق والطلاق.

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦).

جـ - أن تعلم أنَّ لذات الدنيا ناقصة وفانية، ولذات الآخرة كاملة وباقية، فكل ما تريده من جمال ستجده فى الحور العين... تجده دون أحزان ولا آلام... تجده دون عوائق ولا موانع... تجده دون تعب ولا نصب... فتاجر مع الله عز وجل: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (الأعلى: ١٧).

هل هناك صداقة بين الشباب والفتيات؟

طبيعة العلاقة كما يقرها العرف

* الصداقة أو الصحبة كما نراها بين الشباب والفتيات فى

الجامعات والوظائف والنوادى تعنى وجود علاقة بينهما يتخلل تلك العلاقة حسن النية، والمساعدة - كأن يطلب الشاب كشكول المحاضرات من زميلته - والشكوى - كأن يحكى لها عن أمور شخصية أو تحكى له - ونحو ذلك وكل هذا بضوابط بحيث لا تخرج العلاقة عن الحدود التى يقرُّها العرف.

هل الشرع يعترف بهذا؟!

* الدين يسر، والله عز وجل يعلم ما يصلح به عبادة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) فالله تعالى هو الخالق وهو الأعلم بخلقه، ولهذا إذا أمرك تعالى بأمر فاعلم أن هذا الأمر فيه سعادتك وراحتك وحياتك وإذا نهاك فاعلم أن هذا المنهى عنه أذى، وحسرة، وضيق، وعذاب فى الدنيا قبل الآخرة.

* وقد أمر الله عز وجل بغض البصر ولا تخلو هذه العلاقة من النظر إلى الوجه على أقل تقدير، أو اختلاس نظرات محرمة، وهذه العلاقة أيضًا لا تخلو من التزين والتجمل والتلطف من قبل الفتاة أو المرأة وقد أمر - عز وجل - أمهات المؤمنين الأطهار بألا يخضعن بالقول وألا يرققن كلامهن فيطمع الذى فى قلبه مرض الشهوة ولكن يتكلمن مع الرجال لنشر العلم الذى خصهنّ الله به فهنّ زوجات النبى ﷺ دون تزين ولا مزاح ولا ملاطفة فهل بعد هذا كله تكون هذه العلاقة من جهة الشرع حلالاً؟!

بل إن الشاب نفسه لو نزل إلى أرض قلبه وبحث عن حقيقة العلاقة لوجد فيها من الأفكار والنيات والبواعث ما لا يرضاه فى حق

أخته أو أمه!

كم من شجاع قتل في الحرب؟!

* وقد يخيل الشيطان إليك - أخي الشاب - أنَّك بطل وشجاع لا تؤثر فيك مثل هذه الأمور، ونقول: كم من شجاع قتل في الحرب؟!

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: وقد كانت عادة لجماعة من العرب، يثقون في أنفسهم بالامتناع عن الزنا، ويقنعون بالنظر، والمحادثة، وتلك الأشياء تعمل في الباطن، وهم في غفلة عن ذلك إلى أن هلكوا.

وكان غلطهم من وجهين:

أحدهما: مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والمحادثة.

والثاني: تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه، ثم معاناة كفه عن ذلك، فالطبع يغلب فإن غلب وقعت المعاصي، وإن غلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء[١].

أيها الشجاع... النبي وقد بلغ الستين من عمره وقد تزوج تسعًا من النساء ومع هذا كان لا يصافح النساء الأجنبيات فهل أنت أشجع من النبي ﷺ ؟!

وصدق ابن حزم حين قال[٢]:

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن
إبليس حيٌّ لم يمتْ والعين باب للفتنْ

(١) ذم الهوى لابن الجوزي صـ ٤٩٧ باختصار بسيط.
(٢) طوق الحمامة - لابن حزم - صـ ١٦٧.

* فأول ما عليك – أخي الشاب – أن تعترف بأن هذا خطأ ولا داعي للمكابرة وتبرير الخطأ فإنَّ بداية العلاج الاعتراف بوجود المرض، فتجرد لله عز وجل وقُل: أنا أخطأت ثم أقلع عن هذه العلاقة لله تبارك وتعالى تبتغي بهذا الفعل الأجر وثق بالله عز وجل ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه إن عاجلاً أو آجلاً.

مؤامرة على الشباب

طبيعة المؤامرة... ومدى نجاحها

قال المستشرق شاتليه: (إذا أردتم أن تغزوا الإسلام وتخضدوا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين بشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافاتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوى، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج والبسطاء لكفانا ذلك لأنَّ الشجرة يجب أن يتسبب لها فى القطع أحد أغصانها)[1].

* أرأيتم يا شباب – هذه المؤامرة؟!

مؤامرة تدور على الشباب	لتجعله ركامًا من تراب
مؤامرة تقول لهم تعالوا	إلى الشهوات فى ظل الشراب

(١) هويتنا أم الهاوية – للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

تفــرق شـمـلهـم إلا علينـا فـصرنا كـالفريسة لـلكلاب

حيــن تنظر إلى الجـامعـات، والطرقات، والمـقاهى، وترى لـهو الشباب وعـدم مبالاتهم تشعـر بشىء من النجاح لهذه المـؤامرة. حين ترى المرشحين لـقيادة البشرية عاكـفين على شهواتهم تتعـجب وتحتار وتقلق!

المـرأة.. سبيـل قديـم

* إنَّ مسلـكهم فى سبـيل نجاح هذه المؤامـرة خبـيث ودنيء إنهم يسلكون مسلك الشهوة والغريزة، فيـتلاعبون بتلك الغرائز، ويشعلون نار الشـهوات المكبـوتة وهذا أسلوب قديم لـهم فى محـاربة الإسلام وأهله.

قال ابن القيم (رحمه الله): وإذا أراد النصارى أن يُنَصِّروا الأسير - يعنى: المسلم - أروه امرأة جـميلة وأمروها أن تطمعه فى نفـسها حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل فى دينها[1]. يقول هذا الكلام وهو من علماء القرن الثامن الهجرى!

انتبهوا يا شباب

* فانتبهوا يا شباب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠) القوة الـتى تجعل الأسد المحـبوس فى العـرين ينطلق إلى الغابة ليحميهـا من الذئاب اللئام الذين حاولوا تدميرها وقت حبـسه، فينشر العدل بقوة، والرحمة بقوة، والسلام بقوة.. قوة لا تعطى الظالم فوق حقه، ولا تبخس المظلوم حقـه... قوة لا تعرف المجاملات... قوة

(١) الداء والدواء - ابن القيم - صـ ١٩٦.

لا تحسن الأنانية... قوة استمدت من قوة الله تعالى فهى قوة بالله ولله فأنى تهزم هذه القوة وفيها ما فى روح الله من العدالة؟!

احذروا التقليد!

ذم التقليد الأعمى

* من أسوأ ما يعانى منه الشباب اليوم الافتتان بالغرب، والولع بتقليدهم، ويا ليت هذا التقليد فى شىء نافع، ولكنه تقليد لرذائل الغرب.

* وقد ذمَّ الله تعالى هذا التقليد الأعمى الذى هو فى الحقيقة إلغاء للعقل قال تعالى عن الكافرين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)، وأخبر تعالى أن المقلدين فى الآخرة يخسرون ولا ينفعهم من قلَّدوهم فقال عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨، ٣٩).

* وقد نهى النبيُّ عن تقليد الكفار أو حتى التشبه بهم فقال ﷺ: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1]، وقال عبد الله بن مسعود:

(١) صحيح: رواه أبو داود - وانظر: صحيح الجامع.

«لا تكونن إمَّعة قالوا: وما الإمَّعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطِّنَنَّ أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر».

معنى التقليد

* قال القرطبي: (التقليد في اللغة مأخوذ من قلادة البعير، فإن العرب تقول: قلدت البعير إذا جعلت في عنقه حبلاً يقاد به، فكأن المقلد يجعل أمره كله لمن يقلده يقوده حيث شاء!).

إلغاء العقل لا مبرر له

* فالتقليد الأعمى ما هو إلا إلغاء للعقل وتحكيم للهوى والعادات المتوارثة، وفي هذا حكاية لطيفة، فيحكى أن رجلاً سأل زوجته لماذا تطبخين السمك بدون الرأس والذيل؟ قالت: هكذا كانت تطبخه أمي! فسأل أمها، فقالت: هكذا كانت تطبخه أمي! فسأل أمها، فقالت كان الطبق لا يسع الذيل والرأس! أرأيت كيف كان التقليد غطاء على العقل. فماذا كان يحدث لو سألت أمها عن سبب هذا الفعل؟! إنه تقليد أعمى لا دليل عليه ولا مبرر له!

لم رفعتم راية الهزيمة؟!

* وعلى مستوى الأمم فقد يبعث على التقليد الشعور بالنقص والهزيمة، كما قال ابن خلدون: (المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده)[1] ثم ذكر - رحمه الله

---

(١) تاريخ ابن خلدون - جزء أول - صـ ١٢٣.

- أسبابًا لهذا قال من بينها: (لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب) ذكر ذلك على وجه المغالطة، فليست العوائد والمذاهب هى التى جعلته غالبًا ولكن أشياء أخرى فيغلط المغلوب ويقلد ما لا يكون له أى صلة بهذه الغلبة!

أزمة الغرب... أزمة دين!

* وتتعجب حين ترى الشباب المسلم يقلد رذائل الغرب ويترك دينه، وترى فى ذات الوقت أحد عقلاء الغرب وهو المؤرخ الإنجليزى "أرنولد توينبى" يقول: (إن أزمة الحضارة فى الغرب هى الدين، ولا يمكن إنقاذ تدهورها إلا بالدين، ذلك أنها مصابة بالخواء الروحى، الذى يحول الإنسان إلى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الإنسانى مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية، وفقدان الهدف من كل ما يأتى من أفعال. خواء روحى يحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف)[1].

تعلموا كيف يسلك الرجال

* وكما اعترفت الدول الغربية بالمعاناة من مشكلة "قلة الدين"، عملت الدول المتقدمة وإن كانت كافرة على عدم اتباع الغرب وتقاليعه الفارغة، فمن أعجب ما قرأت ما رأيت فى جريدة الجمهورية: (أن اتحاد الكرة الصينى أصدر تعليمات بمنع لاعبى المنتخب الوطنى الصينى تحت ١٧ سنة من عدم تصفيف الشعر كأحد اللاعبين المشاهير أو حلقه

(١) مجلة الأزهر - بتاريخ ذو القعدة ١٤٢٤ - صـ ١٧٨٥.

وذكر لاعبًا آخر، ثم قال: إن هدفنا عدم اتباع "الطرق الغربية" ثم قال: إن تتعلموا كيف يسلك الرجال الحقيقيون أهم من أن تصبحوا نجومًا فى عالم الكرة!).

الموضة.. والتبعية

* ومن مظاهر هذا التقليد الأعمى الذى تعانى منه الأمة فى هذه الآونة تقليد الفتيات للزى الغربى الفاضح ومتابعة ما يسمونه بـ "الموضة" التى تأتى كل يوم بجديد لا يزداد عن الذى قبله إلا سوءًا!

قال الدكتور مصطفى عبد الواحد: (إن الشعور بالتبعية النفسية والاستعمار الاجتماعى والخضوع والإحساس بالنقص هو الذى يحمل النساء فى مجتمعنا على اتباع تيار الأزياء الفاضحة التى تستهدف الفتنة والإغراء. وهو أيضًا الذى يحبب إلى بعض الناس عندنا الدعوة إلى تعميم هذه الأزياء باسم الرقى والتحضر، بل المطالبة بتحريم الأزياء المستترة البعيدة عن الإغراء.

ولو كان هناك نوع من الأصالة الاجتماعية والثقة بالحضارة العربية لما اتجه هؤلاء هذا الاتجاه العجيب... إذ أن الزى أولاً مظهر قومى متوارث وأمامنا شعوب كثيرة ما زالت تتمسك بأزيائها مهما بلغت من التعقيد وما زالت تحافظ على زيها العتيد.

فكيف ترضى المرأة العربية بالانقياد وراء ذلك التيار الذى يسلبها خصائصها ويحيلها إلى مسخ شائه يندفع إلى التقليد ويجرى خلف كل جديد)[1].

---

(١) الإسلام والمشكلة الجنسية - مصطفى عبد الواحد - صـ ١٢١.

لبئس المولى ولبئس العشير

* وكذلك الشباب فقد وقعوا فى فخ التغريب فتراهم لا يجاوزون القردة فى تقليدهـم للزينة والملبس وأسلوب الحياة اليوميـة والتصرفات والحركات والعادات الاجتماعية الغربية.

ولا شك أن تسمية هذا بالتشبه والتقليـد أبلغ من تسميته بالتحضر فإنه تقـليد بدون إدراك أو وعى بل إن أحدهـم يشبه الذى مـسه جنى فهو يتـخبط لا يدرى ماذا يفعل، ولا يريد أن يدرى، فـقد سيطر هذا الجنى على أفكاره وإرادتـه، وهو قد استسْلم له بـعد أن ظن أن الجنى سيحقق له رغباته وآماله!

وصدق الرافعى حـين قال: إن هذا الشرق حين يدعـو إليه الغرب ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج: ١٣).

أساليـب مواجهـة الشهـوة:

(التائق إلى العافيـة لا يبالى بمـرارة الـدواء) ابن الجوزى

١ - المصرف الشرعى لهذه الشهوة:

لا رهبانيـة فـى الإسـلام

كما أن الإسلام حرَّم الزنا وأمر بغض البـصر كذلك حرَّم الرهبانية قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد: ٢٧). فلا رهبانية فى الإسلام ونهى عن التـبتل أيـضًا. قال سـعد بن أبـى وقاص: «لولا أن رسـول الله

ﷺ ردَّ عثمان بن مظعون عن التبتل لاختصينا»[١].

والتبتل: هو الانقطاع عن النساء والدنيا والتفرغ للعبادة، وقيل لمريم - عليها السلام - (البتول) لانقطاعها عن الزواج.

مقاصد الزواج

فالزواج سنة نبوية، وفطرة إنسانية، شرعه الله تعالى (لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية:

أحدهما: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العُدة التى قدَّر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثانى: إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال)[٢].

الزواج سنة نبوية

ولهذا حثَّ النبى ﷺ المسلمين عمومًا والشباب خصوصًا على الزواج قال النبى ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وِجاء»[٣] الباءة: كناية عن النكاح بل إن النبى ﷺ تزوج أربعة عشرة ومات على تسع. وقال ﷺ: «لم نر للمتحابين مثل النكاح»[٤]، وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا

(١) رواه البخارى، ومسلم. (٢) زاد المعاد - ابن القيم - الجزء الثالث - صـ ١٤٢.
(٣) رواه البخارى، ومسلم. (٤) إسناده حسن - رواه ابن ماجه، والحاكم، والبيهقى.

المرأة الصالحة»[١]، وقال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم.. المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف»[٢]، وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا، وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٣].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبًا[٤]، وقال طاوس: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج[٥]، وقال أبو بكر المروزى: سمعت أحمد بن حنبل يرغب في النكاح. فقلت له: قال ابن أدهم... فما تركنى أتمم حتى صاح عليَّ وقال: أذكر لك حال رسول الله ﷺ وأصحابه وتأتينى ببنيات الطريق؟[٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، والحاكم صحيح على شرط مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) إحياء علوم الدين الإمام أبو حامد الغزالى - الجزء الثالث - صـ ١٣١.

(٥) تهذيب الأسرار فى أصول التصوف - لأبى سعيد الخركوشى - صـ ٣٨٤.

(٦) صيد الخاطر - ابن الجوزى - صـ ٥٢، وبنيات الطريق: طريق صغير متشعب عن الجادة.

الزواج ليس هو العلاج

والزواج ليس هو العلاج لترك البصر على المحرمات ولكنه مساعد ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث السابق ذكره: «فإنه أغض للبصر» ففيه إشارة إلى أنه أصلاً كان يغض بصره ولكن الزواج يجعله أغض للبصر.

نوايا حسنة

وللشاب فى زواجه نوايا فقد قيل: إذا أراد الرجل أن يتزوج فلينو فيه خمس خصال حتى تكون على أحسن الوجوه، أولها: أن يقيم سُنة النبى ﷺ، والثانى: أن ينوي أن يعلمها إن كانت جاهلة بأمر دينها، والثالث: أن يطفئ شهوته بشهوتها، والرابع: أن يطفئ شهوتها بشهوته، والخامس: إن ولد له منها ولد يزيد فى أمة محمد ﷺ واحدًا فيفخر على الأنبياء عليهم السلام بكثرة الأمة.

فى التأنى السلامة

وعليه أن يتأنى فى اختيار شريكة الحياة فقد قالت هند بنت عتبة: (النساء أغلال، فليتخير الرجل غلاً ليده) فينبغى على المتزوج أن يتزوج - ذات الدين كما قال النبى ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] فابحث عن ذات الدين ليسلم لك الدين، ولا مانع أن يكون بجانب هذا الحسن والجمال بل إذا اجتمع الدين والجمال كان أفضل من الدين فقط وإذا اجتمعا مع النسب والمال كان أفضل وأفضل.

٢ - الصوم وجاء:

قال النبى ﷺ: «فمن لم يستطع - يعنى: الزواج - فعليه

(١) متفق عليه.

بالصوم فإنه له وجاء» فأخبر أنه وقاية وحماية من الوقوع فى الفاحشة.

لماذا الصوم؟

وذلك لأنه (يكسر شهوة النفس ويضيق مجارى الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان فى توليدها، وقل من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت جداً، والصوم يعدلها، واعتدالها حسنة بين شيئين ووسط بين طرفين مذمومين»[١].

هل جربت هذا الدواء؟

فإن قال قائل: جربنا الصيام فلم نجد أى نتيجة!!!

أقول: لعلك لم تصم صيامًا حقيقيًا، بمعنى أنك صمت عن الطعام والشراب فقط ولم تصم عينك عن النساء، ولم تصم أذنك عن سماع الغناء، فلو صمت صيامًا حقيقيًا لوجدت هذا الأثر الطيب الذى أخبر عنه النبى ﷺ.

ثم إنك لابد أن تصوم فترة طويلة حتى تجد نتيجة ترضيك أما أن تصوم يومًا أو يومين فى الشهر فلن تجد أى نتيجة[٢].

٣ - غض البصر:

العين نعمة

العين نعمة، منّ الله بها علينا لنستعين بها على قضاء حوائجنا الدنيوية والدينية فنستعين بها على التفكر فى مخلوقات الله تعالى

---

(١) روضة المحبين - صـ ٣٣٤ - باختصار بسيط.

(٢) يا شباب... احذروا العادة السيئة - الشيخ محمود المصري - صـ ٤١.

والنظر فى العلم النافع إلى غير ذلك من الحاجات التى تثمر الفضائل.

ولابد لكل نعمة من نعم الله عز وجل من حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦) يعنى: هل استخدمتها فى طاعة الله أم استعنت بها على معصيته؟!

الأمر بغض البصر

وقد أمر - سبحانه وتعالى - بغض البصر فقال فى حق الرجال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠)، وقال فى حق النساء: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) فالنظر بغير سبب شرعى محرم.

اصرف بصرك

ولما سئل الرسول ﷺ عن نظرة الفجاءة قال: «اصرف بصرك»[١] وعن على رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»[٢]، وليس المعنى أن يطيل الشاب النظر فى الأولى ثم يقول: هذه الأولى! قال ابن الجوزى: (ربما تخايل أحد جواز القصد للأولى وليس كذلك، وإنما الأولى التى لم تقصد)[٣].

أصحاب الدين.. أحسن معين

وينبغى عليك - أخى الشاب - ألا تصاحب إلا من يغض بصره

---

(١) رواه مسلم. (٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٣) تبصرة ابن الجوزى - صـ ١١٣.

فإذا وقعت عيناه على شىء محظور بحضورك فعليك أن تقلب وجهه عن هذا الشىء كما فعل النبى ﷺ مع الفضل.

* قال الفضل: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى منى، فبينما هو يسير إذ عرض له أعرابى مردف ابنة له جميلة وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، ثم أعدت النظر، فقلب وجهى عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثًا[1].

نوايا حسنة

ولا مانع أن تكون لك نية حسنة فى غضك لبصرك تؤجر عليها، كنية مخالفة الهوى، ونية الاستجابة لأمر الله تعالى ومن النوايا التى أقترحها نية مساعدة الفتيات على ارتداء الحجاب لأن المتبرجة تهدف بتبرجها جذب الأنظار إليها، فإذا غضضت بصرك، جعلتها لا تنل بغيتها، فلعلها تتوب، ورُب نية صادقة تكون أبلغ من أعمال كثيرة.

مداخل خفية للشيطان

وللشيطان فى تحريضك على ترك البصر مداخل: **منها**: أن يدخل لك من باب العلم فلا ينبغى لك أن تترك بصرك فى هذه الحالة فهذا سفيان الثورى جاءته امرأة؛ فقالت: إنى أريد أن أسألك عن شىء فقال لها: أحيفى الباب ثم تكلمى من وراء الباب **ومنها**: أن يدخل لك من باب أنك تريد زوجة وتبحث عنها فتطلق بصرك على النساء فإذا أنت بحثت عن استطاعتك للزواج وجدت أن الأمر بعيد،

---

(١) متفق عليه.

ومنها: أن يدخل لك من باب تعلم الأشياء التى فطر الإنسان عليها ولا تحتاج إلى تعلم أصلاً حتى إن البهائم لا تحتاج إلى تعلمها كما قال ابن سابط: أبهمت البهائم فلم تبهم عن أربع تعلم أن الله ربها، ويأتى الذكر الأنثى، وتهتدى لمعاشها، وتخاف الموت.

أسباب معينة على غض البصر

ومما يستعان به على غض البصر أمور:

١ - أن تعلم أن (النظر مثل الحبة تلقى فى الأرض، فإذا لم يلتفت إليها يبست، وإن سقيت نبتت، فكذلك النظرة إذا ألحقت بمثلها)[١].

٢ - مراقبة الله عز وجل: سئل الجنيد بما يُستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)، قال ابن عباس فى هذه الآية: هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود أنه نظر إلى عورته![٢].

٣ - ملازمة ذكر الله تعالى.

٤ - حمل المصحف فى كل مكان تذهب إليه وتقرأ فيه باستمرار.

٥ - مصاحبة من يغض بصره.

٦ - تجنب المشى فى الطرق المعلوم انتشار الفتن فيها إلا فى أضيق الحدود.

(١) ذم الهوى صـ ٥٠٠.

(٢) إسناده حسن. رواه ابن جرير، والطبراني فى الأوسط.

٧ - استعمال العينين فى التفكر فى خلق الله.

السلف الصالح.. وغض البصر

وقد كان السلف الصالح قدوة فى غض البصر:

* قال سفيان الثورى لأصحابه وقد خرجوا يوم العيد: (إن أول ما نبدأ به فى يومنا عفة أبصارنا)[١].

* وقيل لأحد السلف: أين أطلبك فى الآخرة؟ قال: اطلبنى فى جملة الناظرين إلى الله تعالى، فقيل له: وكيف علمت؟ قال بغض طرفى عن كل محرم واجتنابى فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتى النظر إليه[٢].

* وكان أحدهم لا يمشى إلا وعلى رأسه طرحة، ليكف بذلك بصره عن الانطلاق[٣].

* وكان الربيع بن خثيم يغض بصره فمر به نسوة، فأطرق حتى ظن النسوة أنه أعمى، فتعوذ بالله من العمى![٤]. وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها، وكان ابن مسعود يقول إذا نظر إليه (وبشر المخبتين) أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك[٥].

---

(١) نضرة النعيم - جزء خامس - صـ ٢٨٨٨.

(٢) المدهش - ابن الجوزى - صـ ٤٥٤. (٣) ذم الهوى - صـ ٨٥.

(٤) المرجع السابق. (٥) الإحياء - جزء أول - صـ ٢٢٣.

* وقال ابن سيرين: ما غشيت امـرأة قط فى يقظة ولا نوم غير أم عبد الله، وإنى لأرى المرأة فى المنام فأعلم أنها لا تحل لى فأصرف بصرى[١].

* وعن سلمان الـفارسى رضي الله عنه أنه قال: «لأن أموت ثم أحـيا ثم أموت ثم أحيا ثلاثًا أحب إلى من أن أنظر إلى عورة أحد أو ينظر أحد إلى عورتى»[٢].

من فضائل غض البصر

ومن فضائل غض البصر: قـول النبى ﷺ : «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت فى سبيل الله، وعين يخـرج منها مثل رأس الذبـاب - يعنى: الدموع - من خشـية الله»[٣]، وقال أبو الدرداء: «من غض بصره من النظر الحرام زُوِّج من الحور العين حيث أحب».

آفات ترك البصر على المحرمات

أما عن آفات ترك البصر على المُحرَّمات:

١ - أنه قد تعجل العقوبة فى الدنيا وهى أخف الآفات فعن ابن عبـاس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسـول الله ﷺ وهو يتسـلل دمًا، فقال له النبى ﷺ (ما بالك؟) فقـال: مرَّت بى امرأة فنظرت إليها، فلم يزل يتبعها بصرى، فاستقبلنى جدار فضربني، فصنع بى ما ترى، فقال النبى ﷺ : «إن اللـه إذا أراد بعبد خيرًا، عجل له عـقوبته فى

---

(١) ربيع الأبرار - الزمخشرى - جزء ثالث - صـ ٤١٠.

(٢) تنبيه الغافلين، ص ٣١٣.

(٣) ضعيف: رواه المنذرى - فى الترغيب والترهيب - انظر: ضعيف الجامع.

الدنيا»[١].

٢ - فساد القلب: كما قال أحدهم: شكوت إلى بعض الزُّهاد فسادًا أجده فى قلبى فقال: هل نظرت إلى شىء فتاقت إليه نفسك؟ قلت: نعم، قال: احفظ عينيك فإنك إن أطلقتها أوقعتك فى مكروه، وإن ملكتهما ملكت سائر جوارحه[٢].

٣ - عذاب القلب: فكيف يكون حال الصائم إذا شم رائحة الطعام الشهى فى منتصف النهار؟! فإذا نظر الشاب إلى الفتاة وتأمل محاسنها نُقشت صورتها فى قلبه، فإذا عاد إلى البيت عاد بهذه الصورة، فإذا حاول المذاكرة وجد صورتها فى الكتاب، فإذا قام ليصلى رأى الصورة فى صلاته، فإذا نام وجدها، فهو فى غم وهم وعذاب فى القلب.

قال ذو النون: اللحظات تورث الحسرات، أولها أسف، وآخرها تلف، فمن تابع طرفه تابع حتفه.

قال المتنبى:

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

يعنى: هو الذى أطلق العنان لنظره فعاد عليه ذلك بآلام قتلته فلا يدرى من يحاسب وهو الذى قتل نفسه بتركه لبصره.

٤ - أنه قد يعاقب بنظر الناس إلى أهله، فالجزاء من جنس العمل قال

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى.
(٢) دولة النساء للبرقوقى صـ ٣٧٧.

أحد السلف (نظرت إلى امرأة لا تحل، فنظر إلى زوجتي من لا أريد)[1].

٥ - أن النبي سمى ترك البصر زنا فقال: «العينان تزنيان، وزناهما النظر»[2].

قال الغزالي: (وزنا العين من كبائر الصغائر، وهو يؤدي إلى القرب على الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج. ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه)[3].

كل الحوادث مبدأها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر
المرء ما دام ذا عين يقلبها	في أعين العين موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته	لا مرحبًا بسرور بعده الضرر

٤ - تجنب رياح الخواطر:

خطورة الخطرة

* من غض بصره استراح من تلك الخواطر الرديئة، فالعين رسول القلب، فإذا نظر الشاب إلى المرأة الأجنبية طبعت الصورة في قلبه، فإذا دفع هذه الخطرة بغيرها اندفعت وإلا صارت فكرة، فإن دفعها وإلا صارت شهوة ثم تصير عزيمة وهمة ثم فعلاً ثم تصبح عادة لا يستطيع التخلي عنها.

---

(١) صيد الخاطر صـ ٤٤٧. (٢) متفق عليه.

(٣) الإحياء - جزء ثاني - صـ ١٢٥.

* قال ابن القيم عن طريق الاستقامة فى كتاب طريق الهجرتين: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من إهمالها والاسترسال معها؛ فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء؛ لأنها هى بذر الشيطان، والنفس فى أرض القلب، فإذا تمكن بذرها وتعاهدها الشيطان بسقيه مرة بعد الأخرى حتى تصير إرادة، ثم يسقيها حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزًا أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذ لم يدفعها وهى خاطر ضعيف، كمن تهاون بشرارة من نار وقعت فى حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها)[1].

* ومما يوضح خطورة الخطرة قول عيسى - عليه السلام - لبنى إسرائيل: (زعمتم أن موسى نهاكم عن الزنا، صدقتم، وأنا أنهاكم عنه، وأحدثكم أن مثل حديث النفس بالخطيئة كمثل الدخان فى البيت، إن لا يحرقه فإنه ينتن ريحه ويغير لونه، ومثل القادح فى الخشبة إلا يكسرها فإنه ينخرها ويضعفها)[2].

* فإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدها عليك فسادًا يصعب تداركه ويلقى إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذى أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك، فمثالك معه مثال

(١) طريق الهجرتين صـ ٢٠٩.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة برقم ١١٤.

صاحب رحى يطحن فيها جيد الحبوب فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر وفحم وغثاء ليطحنه فى طاحونته، فإن طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه فى الطاحون استمر على طحن ما ينفعه، وإن مكَّنَهُ فى إلقاء ذلك فى الطاحون أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين فاسدًا[١].

بدائل حسنة

* وأخيرًا... قيل: إنما يكون خاطر المرء على حسب همته، فمن علت همته علا خاطره ومن دنت همته دنا خاطره[٢]. فما أجمل أن يشغل فكرك أخى الشاب هموم الدعوة، ومشكلات الأمة، ومعرفة الحق تبارك وتعالى، وتذكر الموت والدار الآخرة، وكذلك الأعمال الدنيوية النافعة وبهذا لا تدع لنفسك فرصة لمثل هذه الخواطر السيئة والأفكار المضنية.

٥ - صدق اللجوء إلى الله عز وجل:

وهذا الدواء مستخرج من قصة يوسف - عليه السلام - قال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف: ٣٢)، وقال يوسف: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)، فكانت النتيجة ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٤).

* فعليك - أخى الشاب - أن تعتصم بالله عز وجل وتدعوه

(١) الفوائد - صـ ١٣٩. (٢) تهذيب الأسرار - صـ ٣٦١.

بتذلل ومسكنة أن يصرف عنك كل امرأة أو فتاة حاولت اغتصاب أنظارك فراودتك على أمر ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب! .

* فاطرح نفسك بين يدى من يجيب المضطر إذا دعاه، وقف على بابه، وأظهر له ضعفك فإن هذا الضعف - الذى يكون لله - هو عين القوة، وأظهر له فقرك فإنه عين الغنى إن كان لله تعالى وأظهر له ذلك فإنه عين عزتك إن كان لله تعالى. فإنك لن تستطيع صرف بصرك إلا بإذن الله تعالى.

* قل له: يا رب إلا تصرف عنى هذه الفتن لأكونن من الجاهلين فأنا ضعيف.

يا رب: نجنى من الفتن ما ظهر منها وما بطن..

يا رب: ارزقنى الهدى والتقى والعفاف والغنى..

يا رب: أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء..

يا رب: لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله.

٦ - الابتعاد عن مواطن الفتن:

* فتقطع كل ما يعلق قلبك بالشهوة من صاحب أو مكان معين أو أغنية محرمة، وكذلك تجنب مشاهدة الأفلام والمسلسلات الهابطة والمجلات الخليعة وبالجملة لا تعرض نفسك للمغريات فإنها طريق العودة إلى المهلكات.

* ومثاله (رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت

أصوات العصافير تشوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنقير بالخشبة، فقيل له: إن هذا قليل الفائدة، ولا ينقطع فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول فى دفعها فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمى ذبابًا فكذلك الخواطر»[١].

* فلا جدوى إلا قطع الطرق الموصلة للمعاصى المثيرة للشهوات، المقربة من الآفات، ولا تقل: مالى ولا عملى، ولا تقل: طبعى ولا عادتى، ولا تقل أرضى ولا مولدى، لا كان ما يلهى عن الله، والله يغنى عن سواه.

كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو فى قبضة العوائق أسير؟!
لا يصلح أن تقبل على الله دون أن تعرض عما سواه.

يا حسرة الغافل واللاهى	لا كان ما يلهى عن اللّه
اطرح الدنيا وأشغالها	لا كان ما يلهى عن اللّه
ولا تقل أهلى ولا عشيرتى	لا كان ما يلهى عن اللّه
ولا تقل دارى ولا ضيعتى[٢]	لا كان ما يلهى عن اللّه
ولا تقل طبعى ولا عادتى	لا كان ما يلهى عن اللّه

(١) الإحياء - جزء أول - صـ ٢١٥ بتصرف بسيط جدًا.
(٢) الضيعة: الأموال والأملاك.

ولا تقل مالى ولا قنيتى[1] لا كان ما يلهى عن اللّه
واللّه يغنى عن سواه وسواه لا يغنى عن اللّه

* قال ابن القيم (رحمه الله): لا أفلح من استمر فى عوائده أبدًا، ويستعين على الخروج عن العوائد بالهرب عن مظان الفتنة وأبعد منها ما أمكنه، وقد قال النبى ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه» أخرجه أبو داود ورجاله ثقات. فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه وهاهنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهى أن يظهر له فى مظان الشر بعض شيء من الخير ويدعوه إلى تحصيله، فإذا قرب منه ألقاه فى الشبكة، والله أعلم[2].

٧ - سماع الوعظ الدينى:

* فعن أبى أمامة أن فتى من قريش أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لى فى الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مَه مَه. فقال: (ادنُه) فدنا منه قريبًا. فقال: «أتحبه لأمك؟» قال لا والله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، ثم عد الأخت والعمة والخالة ثم وضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن - بعد ذلك الفتى - يلتفت إلى شيء[3].

---

(١) القنية: المعطية. (٢) عدة الصابرين - صـ ٦٥.
(٣) رواه أحمد فى المسند، والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح.

فهذا الشاب قد سيطرت عليه قضية الشهوة فلما لفت النبى انتباهه إلى هذه المعانى انتبه واستيقظ من نوم الغفلة.

* والشباب فى حاجة إلى ترويح للروح بين الحين والآخر وهذا يجدونه فى مجالس المخلصين العاملين من الوعاظ والدعاة والعلماء فهذا الدرس أو المجلس تجد فيه نفحة من نفحات الجنة تلهيك عن تلك الرذائل فتعلو همتك وتسمو أمانيك.

تنبيه هام

* وينبهك ابن عطاء الله على أمر مهم فيقول: (إذا حضرت المجلس وخرجت إلى المخالفات والغفلات فإياك تقول: ماذا يفيد الحضور؟ بل احضر. يكون بك مرض أربعين سنة فتريد أن يذهب عنك فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد.

ومثاله كرمل رُمي فى موضع أربعين عامًا أفتريد أن يزول فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمن فعل المعاصى وتقلب فى الحرام لو انغمس فى سبعة أبحر لم تطهره حتى يعقد مع الله عقدة التوبة)[1].

٨ - تذكر الموت والدار الآخرة:

* قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤١، ٤٠).

الخوف دواء فعال

* قال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف

(١) تاج العروس لابن عطاء الله صـ ٨٧.

مزعج أو شوق مقلق.

وقال حوشب: لو عرضت للمؤمن ألف شهوة، لأخرجها بالخوف، ولو عرضت للفاجر شهوة واحدة، لأخرجته من الخوف[1].

وقيل لعطاء في مرضه: ما تشتهى؟ فقال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعًا للشهوة[2].

تذكر... وتذكر

* فتذكَّر الموت وسكراته، وأحوال الموتى، وأخبارهم، وما يعانونه مما يوقظ القلب فالموت يأتى بغتة دون استئذان.

قيل: غاية أمنية الموتى حياة ساعة.

وأنت فى الحياة تفرط فيها!

كان عيسى - عليه السلام - إذا مرَّ على شباب يقول: كم من زرع لم يدرك الحصاد!

فتذكر - أخى الشاب - يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠)، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٣٥، ٣٩) يوم ينظر المرء فى كتابه فيقول: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾

(١) تهذيب الأسرار - صـ ١٥٤. (٢) ربيع الأبرار - الجزء الخامس - صـ ٣٩.

(الكهف: ٤٩).

* وتذكر - يا أخي - عرضك على ربك قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه - تبارك وتعالى - ليس بينه وبينه ترجمان»[1] فإن وقعت في فاحشة - أعاذنا الله من الفواحش - كيف يكون حالك في هذا الموقف وإن غُفرت؟!

وتذكر أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على رءوس الخلائق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ١٩ - ٢٢).

* وتذكر أن كل مكان تعصي فيه الله - عز وجل - سيتكلم ويقول ما كنت تفعل عليه من شر وفواحش قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ٤) قال النبي ﷺ بعد أن قرأ هذه الآية: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم

---

(١) متفق عليه.

كذا كذا وكذا»(١).

* فذكر نفسك بكل هذا تهدأ وتنطفىء نار شهوتك فإن هذا مما يلهي عن الشهوات حتى إن بعضهم كان إذا تذكر النار لا يستطيع النوم، ويحكى أنه كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها فى المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال عبيد بن عمير. قالت: فائذن لى فيه فلأفتننه. قال: قد أذنت لك(٢).

قال الراوي: فأتته كالمستفتية - تريد أن تسأله سؤلاً - فخلا معها فى ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استترى يا أمة الله! قالت: إنى قد فتنت بك؛ فانظر فى أمرى.

قال: إنى سائلك عن شىء فإن أنت صدقتنى نظرت فى أمرك.

قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك.

قال: أخبرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أدخلت فى قبرك، وأجلست للمساءلة أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أنى قضيتها

---

(١) حسن بشواهده - رواه الترمذى - وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) بالطبع هذا الرجل وأمثاله لا يمسون الإسلام بأى صلة فإن المسلم غيور على أهله.

لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو جيء بالميزان، وجيء بك ولا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدى الله للمساءلة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: اتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك، وأحسن إليك. فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطَّال، ونحن بطَّالون! فأقبلت على العبادة فكان زوجها يقول: مالى ولعبيد بن عمير، أفسد علي امرأتى، كانت كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة.

٩ - إياكم والاختلاط البرىء!

الاختلاط داء أم دواء؟

هل يمكن أن نضع الاختلاط ضمن الحلول لمشكلة الشهوة؟!

تعالوا نسمع ما قاله الدكتور مصطفى عبد الواحد فى هذا، قال:

(إن دعاة الغرب فى بلادنا يحاولون أن يهونوا من تلك المشكلة - يعني: مشكلة الغريزة والشهوة -، وأن يخرجوها من إطارها الأخلاقي ليجعلوها مسألة من مسائل الاقتصاد أو وضعًا ماديًا من أوضاع المجتمع. وتأتى حلولهم لتلك المشكلة نابعة من فكر مادي مخادع، لا يستقيم له مبدأ، ولا يرتبط بحقيقة مشهود لها بالثبات...

والحل عند هؤلاء، كما تبدَّى من أقلامهم وألسنتهم فى كلمتين: تعميم الاختلاط، وإباحة البغاء...)(١).

(١) الإسلام والمشكلة الجنسية - صـ ٨٦.

اعترفوا... وما زلنا نكابر!

* ولقد رأينا من المشاهير الذين ينسبون إلى الإسلام تأييدًا لهذا الرأى وهذه الفلسفة، دون مبرر إلا محاربة الكبت الجنسى وتفريغ الطاقات الكامنة عند الشباب المظلوم الذى لا يستطيع الباءة!

وهل هذا إلا كإطفاء النار بالبنزين!!

العجيب أن الغرب أنفسهم اعترفوا بفشل هذه الحلول، ولم يعد هناك فى الغرب من يزعم هذا الزعم الخادع إلا القليل.. بل أصبح الأمر مكشوفًا بلا غطاء.. ونحن ما زلنا نخادع أنفسنا!

* يقول صاحب كتاب (الإنسان بين المادية والإسلام): لقد كان هذا الاختلاط البرىء أسطورة ضخمة طلع بها الغرب فى بدء انحلاله ليعالج بها الكبت الجنسى.

ثم عاد الغرب فكفر بها، ولم يعد اليوم يجرى ذكرها على لسانه بعد أن تكشفت نتيجتها الطبيعية المحتومة. فهم يقولون اليوم: إن كل اختلاط من شأنه أن يهيج مشاعر الغريزة لا أن يخمدها. وعندئذ يحدث أحد أمرين: فإما أن يلجأ الشاب إلى مكان آخر لا تقوم حوله الحواجز، أو يظل فى قلقه المفسد للأعصاب.

فأى براءة وأى تهذيب؟!

إن الواقع يثبت أن دعوى البراءة والصداقة بين الجنسين بطالة يملؤها الخداع والزيف..

وهكذا انكشفت حكاية (التهذيب الجنسى بالاختلاط البرىء) عن وهم كبير!

وعلى أى حال فقد كفر الغرب بها، ولم يعد يزعم أن الاختلاط البرىء أمر ممكن التنفيذ.

لقد ألقى القناع، وأعلن فى صراحة حمقاء أنه قد أباح لفتيانه وفتياته أن يفعلوا ما يشاءون بلا حياء!

فما بال هذا الشرق المسكين يتشبث بهذه الأساطير؟![1].

السعيد من وعظ بغيره

* فهذه هى تجربة الغرب فى مسألة الاختلاط، والإسلام قد اختصر علينا الطريق وحرم هذا الاختلاط المستهتر الذى نراه فى الجامعات والنوادى ودور السينما ووسائل المواصلات فإن كنت تعتقد أن الإسلام كبت للطاقات أو تقييد للحريات فهلا اتعظت بتجربة الغرب الفاشلة و"السعيد من وعظ بغيره"؟!

١٠ - الشيطان ثالثكما:

* قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان»[2].

وقال ميمون بن مهران: «لا تدخلن على امرأة، وأن قلت أعلمها كتاب الله عز وجل».

* وليس هذا فقدانًا للثقة بهما أو بأحدهما، ولكنه تحصين لهما من وساوس السوء، وهواجس الشر، التى من شأنها أن تحوك فى صدرهما عند التقاء فحولة الرجل بأنوثة المرأة ولا ثالث بينهما[3].

---

(١) نقلاً عن المصدر السابق صـ ١٨٨ باختصار. (٢) رواه مسلم.
(٣) الحلال والحرام - للدكتور/ يوسف القرضاوى.

* يقول القرطبي في تفسير قوله - تعالى - في شأن نساء النبي ﷺ : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

يريد: من الخواطر التى تعرض للرجال، أى: أن تلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى فى الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة، مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

١١ - التسامي:

معنى التسامي

* بالطبع تريد أن تعرف معنى التسامى، تعال نسمع ما قاله الأستاذ على الطنطاوي فى معنى التسامي قال: أترى إلى إبريق الشاى الذى يغلي على النار! إنك إن سددته فأحكمت سده وأوقدت عليه فجره البخار المحبوس وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق وإن وصلت ذراعًا كذراع القاطرة أدار لك المصنع، وسير القطار وعمل الأعاجيب.

فالأولى حالة من يحبس نفسه على شهوته، يفكر فيها ويعكف عليها، والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ويؤم مواطن اللذة المحرمة، والثالثة حالة المتسامى.

فالتسامى هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحى أو عقلى أو قلبى أو جسدى، يستنفد هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة. بالالتجاء إلى الله والاستغراق فى العبادة أو بالانقطاع إلى العمل

والانغماس فى البحث، أو بالجهد الجسدى والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضة، والإنسان محب لنفسه لا يقدم أحدًا عليها.

فالتسامى مُسكن مؤقت، ولكنه مسكن قوى، ينفع ولا يؤذي)[١].

* وهذا الكلام موافق لما قاله الشافعى: (نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل)... نعم - أخى الشاب - لا توجد نفس فارغة من الخير والشر فإما أن تملأ بالحق أو تملأ بالباطل فإذا اجتمعا تدافعا حتى ينتصر أحدهما.

* قال ابن عقيل: (وما كان العشق إلا لأرعن بطَّال، وقلَّ أن يكون فى مشغول ولو بصناعة أو تجارة؛ فكيف بعلوم شرعية أو حكمية؟ فإنها صارفة عن ذلك)[٢].

طرق حسنة للتسامي

* فاشغل نفسك بالعلم النافع فإنه يلقى العبد بعيدًا عن الشهوات والأفكار السيئة وقد ذكر ابن حزم فائدة مهمة للعلم فقال: (وهى شغل الإنسان عن الوساوس والأفكار المضنية، ثم قال رحمه الله: لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية ومطارح الآمال التى لا تفتر غير الهم وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع إليه فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره)[٣].

---

(١) الإسلام والمشكلة الجنسية - صـ ١١٢ باختصار.

(٢) الآداب الشرعية الجزء الثالث - صـ ١٢٣.

(٣) الأخلاق والسير لابن حزم.

وروى ابن الجوزى حكاية عجيبة قال: عن أبى بكر الأنبارى أنه مضى يومًا فى النخاسين، وجارية تعرض حسنة كاملة الوصف، قال: فوقعت فى قلبى ثم مضيت إلى أمير المؤمنين الراضى، فقال لى: أين كنت إلى الساعة؟ فعرفته. فأمر بعض أسبابه فمضى فاشتراها، وحملها إلى منزله، فجئت فوجدتها، فعلمت الأمر كيف جرى، فقلت لها كونى فوق، إلى أن أستبرئك، وكنت أطلب مسألة قد اختلت علي، فاشتغل قلبى، فقلت للخادم: خذها وامض بها إلى النخاس، فليس قدرها أن تشغل قلبى عن علمى[1].

* وكذلك الانشغال بالأعمال الدنيوية النافعة والتركيز فيها فخبراء الإدارة يقولون: إنه لا يوجد فى الحياة داء لا يشفيه العمل الشاق والتركيز الشديد[2].

* وكذلك الانشغال بالعبادة فإنها حصن العبد من الشيطان والنفس وخصوصًا الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

قال بعض الأعلام: إن الله نصب شيئين: أحدهما آمر والآخر ناه: فالأول يأمر بالشر وهى النفس: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣) والآخر ينهى عن الشر وهى الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) فكلما أمرتك النفس بالمعاصى والشهوات فاستعن عليها بالصلاة[3].

* وكذلك ممارسة بعض الألعاب الرياضية المباحة فإن فيها تفريغ

---

(١) ذم الهوى صـ ٥٦٣. (٢) إدارة الوقت مصطفى الطحان.

(٣) الكشكول للعاملى – الجزء الأول – صـ ١٥٥.

لطاقات الشباب، وقد قال النبى ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(١).

وكان محمد بن أبى حاتم يقول عن البخارى: فما أعلم أنى رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه لهدفه إلا مرتين، وكان لا يسبق. فالإمام البخارى رغم انهماكه فى طلب العلم إلا أن هذا لم يمنعه من التدرب على التصويب.

والمشكلة الكبرى أن تكون الرياضة هى محور الحياة لا يتكلم الشباب إلا عنها، يفترقون عليها، ويجتمعون عليها، يحبون من أجلها ويبغضون من أجلها! إن الحياة لابد أن يتخللها وقت لترويح النفس وقد قال سيدنا على رضي الله عنه: «روحوا القلوب فإن القلوب إذا كلت عميت»، لكن لابد أن يكون هذا الترويح بالضوابط الشرعية ويكون جزءًا من الحياة لا كلها كما قال الدكتور يوسف القرضاوى: (إن حياتنا يجب أن تكون جدًا يتخلله راحة وليس راحة يتخللها جد).

١٢ - المولى بالحب أولى:

لا تدع قلبك فارغًا

* سئل أفلاطون عن العشق فقال: داء لا يعرض إلا للفراغ، وقال آخر: العشق جهل عارض صادف قلبًا فارغًا، وقال ابن القيم: وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضة عنه، المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ

(١) رواه مسلم.

عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ١٤).

الحب العملى

* فيا ليت قلوب الشباب تمتلىء بحب الله عز وجل، ولا أقصد بالحب تلك الكلمة التى يتداولها الناس على ألسنتهم، إنما أقصد الحب العملي الذى يعبر عن صاحبه وإن لم يتلفظ به.

الحب ليس رواية شرقية ... بأريجها يتزوج الأبطال
الحب دمعة صادق متبتل ... فى قلبه نور الهدى وجلال

أيها المحب... كم مرة سمعت منادى الفلاح ينادى عليك فما أجبت؟!

أيها المحب... كم مرة بكيت فى الأسحار بكاء العبد التائب المنيب إلى من يحب؟!

أيها المحب... هل تدبرت كلام حبيبك؟!

أيها المحب... هل عرفت حبيبك؟!!

إليك وإلا تشد الركائب ... ومنك وإلا فالمؤمل خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيع ... وعنك وإلا فالمحدث كاذب

ها هو النبى ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم الليل حتى تتورم قدماه هل يصدر مثل هذا إلا من محب؟!

وهذا يترك زوجته ليلة الزفاف ويحمل سلاحه فيذهب إلى المعركة فيُقتل!

وذاك بعد أن رأى المسلمون حائطًا قد أغلق بابه يجلس على ترس

ويقول: ادفعونى برماحكم، فألقونى إليهم ففعلوا فأدركوه وقتل من الأعداء عشرة!

وآخر يقول يوم أحد: اللهم خذ من دمى هذا اليوم لترضى!

وها هو أحد العباد يقولون له: ألا ترح نفسك، فيقول: راحتها أريد!

وآخر يضرب على صدره، ويقول واشوقاه لمن يرانى ولا أراه!

* **فاشغل نفسك** - أخى الشاب - بحب الله تعالى واسمع واقرأ أخبار المحبين الصادقين من الصحابة والتابعين والصالحين فإن القلب إذا كان مع الله فلن يضره شىء، وإذا بعد عن الله أصابته الآفات.

١٣ - هذه المحاب تغنى:

حب الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

* ما زلنا عن الحب العملى نتكلم، لا عن الكلمات الحماسية الفارغة..

لقد أحب الصحابة النبى حبًا شديدًا فآثروه على أولادهم وأموالهم وأمهاتهم وأنفسهم فوقع منهم ما لم يحدث قبله، ولن يحدث بعده!

فها هو خبيب بن عدى وقد قطعت قريش لحمه ثم حملوه على خشبة الموت ليصلب ثم قالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله

ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومحمد يشاك بشوكة ثم نادى نداء الشوق وامحمداه!

بل آثروه على عقولهم!

كان عمر بن الخطاب يقبل الحجر الأسود، ويقول: إنى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

وأتى عبد الله بن عمر يومًا بناقته إلى موضع فأدارها فيه ثم نزل فسئل عن فعله فقال: لا أدرى إلا أنى رأيت رسول الله ﷺ فعله ففعلته!!

حب القرآن

* كان النبى ﷺ يحب القرآن ويحب أن يسمعه فإنه كلام حبيبه وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبة؟!

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله».

* فاقرأ القرآن واحفظه وتأمل معانيه وما فيه من عجائب ولطائف تذوب فى أعماق النفس فتبعثك على العمل فإن القرآن رسائل من الله إلى عباده.

حب الصلاة

* وها هى الصلاة قد جعلت قرة عين النبى ﷺ ومتعته وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال».

وكان ثابت البنانى يقول: يا رب إن أذنت لأحد من عبادك بالصلاة فى القبر فأذن لى.

الحب في الله

* قال النبي ﷺ: «أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله».

وقد رتب النبي ﷺ على هذا الحب ثمرات كأن يذوق المحب طعم الإيمان وأن يكون المتحابين فى الله فى ظل عرش الرحمن وأن يكونوا على منابر من نور وأن يحبهم الله تعالى وذلك لأن الحب فى الله من أفضل الأعمال.

* وروى ابن الجوزى وغيره أن رجلاً من السلف جاء إلى بيت صديق له فخرج إليه فقال:

ما جاء بك؟ قال: على أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكيًا؛ فقالت زوجته: هلا تعللت عليه إن كان إعطاؤه يشق عليك؟ فقال: إنما أبكى لأنى لم اتفقد حاله فاحتاج أن يقول لى ذلك![1].

١٤ - الحور العين خير معين:

* قال أبو عصمة: كنت عند ذى النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئًا، فمرت امرأة ذات (حسن) وجمال وخلق، فجعل الفتى يسارق النظر إليها، ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأ يقول:

دع المصوغات من ماءٍ ومن طين
واشغل هواك بحور خردٍ عين[2]

---

(١) التبصرة - صـ ٦٣٩.　(٢) ذم الهوى - صـ ٨٢.

* ولهذا قال تعالى عقب قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ الآية (آل عمران: ١٤)، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٥)، وذلك تسلية عن الشهوات وحثًا للنفوس على عدم الانخداع بزهرة الحياة الدنيا وتحذيرًا منها؛ لأنها فانية وما بعدها خير وأبقى.

* قال تعالى فى وصفهن: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٧) أما العرب فهى المتحببة إلى زوجها، والأتراب فى سن واحد وهو سن الشباب.

وقال النبى فى وصفهن: «لو طلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا وأضاءت ما بينهما ولنصيفها[1] على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[2].

* وقال ﷺ: «ألا من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد، فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة، فى محلة عالية بهية». قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: (قولوا إن شاء الله) فقال القوم: (إن شاء الله تعالى)[3] فكيف تؤثر - أخى الشاب - لذة ساعة على نعيم من صفته: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟!

(١) نصيفها: خمارها. (٢) متفق عليه. (٣) رواه ابن ماجه.



١٥ - الله رقيب.. الله سميع.. الله بصير.. الله عليم:

* **الرقيب**: هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء[١] وعليك أن تعبد الله تعالى بأسمائه وصفاته وعبادتك لله باسم الرقيب أن تراقبه أنت فى أفعالك وأقوالك وأحوالك.

* **المراقبة**: هى دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه[٢] قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: ١٤)، وقال النبى ﷺ عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٣].

* والله يجازى المراقب له من جنس عمله قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) والزيادة كما ثبت فى الصحيح هى: «النظر إلى وجه الله فى الجنة»[٤] قال ابن رجب الحنبلى: وهذا مناسب يجعله جزاء لأهل الإحسان لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانًا فى الآخرة، وعكس ذلك ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار فى الآخرة: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥). وجعل ذلك جزاء لحالهم فى الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته فى الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن

---

(١) نقلاً عن المقصد الأسنى صـ ٣٢٣.

(٢) مدارج السالكين - الجزء الثاني - صـ ٦٧.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم، وصححه الألبانى فى سنن ابن ماجه. (٤) رواه مسلم.

رؤيته فى الآخرة[١].

أمثلة حسنة فى المراقبة

* ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة فى المراقبة:

* يحكى أن ابن عمر مر بغلام يرعى غنمًا فقال: بع لى شاة فقال: إنها ليست لى قال ابن عمر: قل: أكلها الذئب. فقال الغلام: فأين الله؟ فاشتراه ابن عمر واشترى تلك الغنم، وأعتقه ووهبه تلك الغنم. وكان ابن عمرو يقول ذلك مدة طويلة قال ذلك العبد: فأين الله؟.

* ويحكى أن أعرابيًا خرج فى بعض الليالى فرأى جارية غاية فى الحسن والجمال فراودها عن نفسها فقالت: ويلك أما كان لك زاجر من عقل، إن لم يكن لك ناه من دين؟ فقال: إنه ما يرانا إلا الكواكب. فقالت: وأين مكوكبها؟!

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

* ويحكى أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه، فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا الشاب ونحن شيوخ، فقال: أريكم منه عجبًا، ثم دعا بعدة طيور، وناول كل واحد منهم طيرًا وسكينًا وقال: اذبح هذا فى موضع لا يراك أحد، ودفع إلى الشاب ذلك، وقال: اذبحه حيث لا يراك أحد، فرجع كل واحد منهم بطيره مذبوحًا، ورجع الشاب والطير حى فى يده، فقال: مالك لم تذبح

(١) جامع العلوم والحكم - صـ ٥١.

وقد ذبح أصحابك؟ فقال الشاب: أمرتنى أن أذبح الطير فى موضع لا يرانى فيه أحد، ولم أجد موضعًا إلا رأيت فيه إطلاع الله - سبحانه وتعالى - عليَّ ورؤيته إياى فلذلك لم أذبحه فاستحسنوا منه مراقبته، وقالوا: حق لك أن تكرم.

* **السميع**: هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فهو يسمع بغير جارحة[1]، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤).

وقال بعض العارفين: إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك وإذا سكت فاذكر نظره إليك.

* **البصير**: هو الذى يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخفيها بغير جارحة[2] فاحرص أخى الشاب ألا يراك فى موضع نهاك عنه أو يفتقدك فى موضع أمرك به.

وقفة مع اسم الله العليم

* **العليم**: فهو عالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولَمَّا يكن بعد قبل أن يكون، ولم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا لما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافيه فى الأرض ولا فى السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان[3] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا

---

(١) قاله ابن منظور فى لسان العرب نقلاً عن المقصد الأسنى - صـ ٢٠٨.

(٢) المصدر السابق صـ ٤٤٦. (٣) المرجع السابق صـ ١٩٩.

﴿تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

* هلا جلست يومًا أخى الشاب لتتفكر فى اسمه تعالى (العليم) هلا خرجت يومًا إلى الشارع فشاهدت هذه الجموع الغفيرة من الناس، وسألت نفسك: ترى فى أى شىء يفكر كل منهم! هذا يفكر فى زوجته، وذاك يفكر فى عمله، وآخر يفكر فى قتل فلان، وهناك من يذهب الآن إلى معصية، وهناك بجانبه من يفكر كيف يتقرب إلى الله، عقول وأفكار كثيرة تخرج من هذه الرءوس لو تحولت إلى شىء محسوس لغطت وجه السماء، سبحان الذى علم فيما يفكر كل هؤلاء.

هلا نظرت إلى هذه العمارت الشاهقة والبيوت الكثيرة وسألت نفسك: كم حبة رمل فى هذا المبنى؟ كم قطرة ماء دخلت فى تشييد هذا البناء؟ الله يعلم كل هذا. ترى كم عدد حيوانات البحر الأحمر أو الأبيض أو هما معًا؟ ترى كم هو عدد حيوانات بحار الدنيا ومحيطاتها وأنهارها وبحيراتها؟ سبحان من أحصى كل شىء عددًا وأحاط بكل شىء علمًا[1].

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

١٦ - ارتداء تاج العفة:

لذة العفة

* قال ابن القيم: إن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها

(١) المرجع السابق - صـ ٢٥ باختصار وتصرف بسيط.

لذة يتقدمها حبس النفس ثم اللذة وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك(١).

معنى العفة

* وجماع معنى العفة: الكف عما لا يحل أو ضبط النفس وتنزيهها عن كل ما يهوى بالإنسان إلى مستوى الحيوان، والعفة فضيلة بين رذيلتين:

رذيلة الشره والاستخذاء للأهواء، الأهواء الضارة غير اللائقة بالمثل الأعلى والكمال، ورذيلة الجمود، جمود الشهوات والعواطف والأحاسيس(٢).

حث النبي على العفة

* ولقد كان النبي ﷺ يسأل ربه العفاف؛ فيقول ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»(٣)، وقد ضمن النبي للمتعفف الجنة فقال ﷺ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة(٤).

وأخبر أن الجزاء من صنف العمل فمن عف جُزي بعفة أهله فقال ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم»(٥)، وقال أيضًا: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن

(١) روضة المحبين - صـ ٣٥٣. (٢) دولة النساء - صـ ٣٧٢.
(٣) رواه مسلم. (٤) رواه البخاري.
(٥) رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

يمس امرأة لا تحل»[١].

نماذج رائعة فى العفاف

* ومع أن العفة شديدة على النفوس وخصوصًا الشباب إلا أن من الناس من اشتهروا بالعفاف وأصبح لهم خلقًا.

* ها هو المتنبى يصف أحدهم فيقول:

عفيف تروق الشمس صورة وجهه ولو نزلت شوقًا لحاد إلى الظل

يقول: إن الشمس تستحسن صورة وجهه فلو نزلت إليه الشمس شوقًا إليه لمال عنها وعف، يعنى: إنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة[٢].

* وها هو عثمان بن عفان يقول: «والله ما أنكرت الله منذ عرفته ولا زنيب فى جاهلية ولا إسلام وقد تركته فى الجاهلية تكرهًا وفى الإسلام تعففًا وما قتلت نفسًا يحل بها قتلي»[٣].

* وها هو عبد الله بن حذافة لما وقع أسيرًا فى يد قيصر الروم فأمره قيصرهم أن يتنصر ويخلي سبيله ويكرم مثواه، فقال حذافة: هيهات هيهات، أن الموت أحب إلى مما تدعوننى إليه!!

فقال قيصرهم: ائتونى بملكة جمال البلاد، فجاءوا بها فأدخلوها عليه فتجردت من ملابسها فقامت ترتمي فى أحضانه فيهرب منها قائلاً: معاذ الله! حتى يئست منه تلك المرأة... ونقلة الأخبار يقفون

(١) صحيح - انظر السلسلة الصحيحة للألبانى. (٢) دولة النساء - صـ ٣٧٧.
(٣) رواه أحمد مختصراً وله طرق يصح بها.

على الباب يريدون أن يشمتوا بهذا الصحابى.

وإذا بها تصرخ وتقول: أخرجونى أخرجونى، ففتحوا لها وسألوها ما الخبر؟ يريدون أن ينقلوا خبر فتنة هذا الصحابى، قالت: والله ما أدرى أأنثى أنا أم ذكر ووالله ما أدرى أأدخلتمونى على بشر أم حجر![1].

* وهذا عروة بن الزبير لما قدم على الوليد بن عبد الملك، فخرجت برجله قرحة الأكلة، فاجتمع رأى الأطباء على نشرها، وأنه إن لم يفعل قتلته، فأرسل إلى الوليد يسأله أن يبعث إليه بالأطباء، فأرسل بهم إليه، فقالوا: نسقيك مرقدًا قال: ولم؟ فقالوا: لئلا تحس بما يصنع بك، قال: بل شأنكم بها. قال: فنشروا ساقة بالمنشار، قال: فما زال عضو من عضو حتى فرغوا منها، ثم حسموها فلما نظر إليها فى أيديهم تناولها، وقال: الحمد لله، أما والذى حملنى عليكى إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام قط[2].

* وهذا يبكى على أبيه عند موته فيقول أبوه: يا بنى ما يبكيك، فما أتى أبوك فاحشة قط!.

٧٥ مليون دولار لتعليم الشباب العفة

* وبهذا تعلم أن الإسلام حث على هذه الفضيلة، والسلف الصالح جعلوا منها واقعًا عمليًا يمشى على الأرض، فى حين أنك ترى الغرب فى هذه الآونة بدأ يعرف فضيلة العفة وفوائدها على الفرد والمجتمع، بل وخصصوا لإحياء هذه الفضيلة مبالغ طائلة.. فقد نشرت مجلة صباح الخير تقريرًا جاء فيه:

(١) يا شباب.. احذروا العادة السيئة - صـ ٥٣ باختصار. (٢) ذم الهوى - صـ ٢٠١.

(أراد الكونجـرس الأمـريكى أن يقنن الـعفـة فى سلـوك الشبــاب الأمريكى لما له من أثر اجتماعى فوافق على تخصيص مبلغ ٧٥ مليون دولار من أجل تعليم الشباب وإرشــادهم للامتناع عن ممارسة الجنس، وأطلـق على هذا الـقـانون (chastity bill) وأعلن الـنائب لاوش فوركولث نائب كارولينا أن ٣٠٪ من المواليد فى أمريكا غـير شرعيين وتصل هذه النسبـة فى أحياء الزنوج إلى ٨١٪ بين الفتيات دون السن القانونية، ولابد من مـقاومة العملية.. وطالب الشـباب بالامتناع عن ممارسة الجنس حتى الزواج، وقال: إن العفة تجـعلنا نتلافى المواليد غير الشرعـيين ونقيـم خط دفاع قويًا ضـد مرض العصـر "الإيدز" وضد أمراض الجنس "المحرم" الأخرى...

ووزعت الحكومـة المركزية الـ ٧٥ مليون دولار على الجـمعـيات الاجتماعية والحكومات المحلية، وطالبت بعض هذه الجمعيات بالفصل بين الجنـسين وطالبـت الفتـيات أن يرفـضن مطلب الشـباب باللـقاء الجنسى، وعلى الفـتيان ألا يطالبـوا الفتيات بذلـك، وطالبت الأسرة بممارسة دورها بتوعـية أبنائها وبناتها بأهمية هذه الطريقـة وجديتها فى الدفاع عن أنفسهم وعن المجتمع!!(...).

وتنتشـر فى الولايات المتحدة حـاليًا حوالى ١٢٠٠ وحـدة تسمى (sex Respect) وهى وحدات تعلم الشباب العفة وترشدهم إلى عدم ممارسة الجنس قبل الزواج، ويـلجأ إليها الشباب بتـوجيه من الأسرة، وبدأت هذه الوحدات تنتشر فى بعض الدول الأوربية[١].

(١) نقلا عن (من مشكلات الشباب) لجمال محمد متولى - صـ ٢٨.

فالحمد لله على نعمة الإسلام: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

١٧ - ولا تقربوا الزنى:

الحيوان يأنف من الوقوع فى هذه الفاحشة

* اتفقت الأديان والعقول على قبح الزنى وتحريمه لما فيه من آفات ومفاسد بل تعدى هذا التقبيح إلى الحيوان فإن كثيرًا من الحيوانات تقبح الزنى كما ثبت فى الصحيح عن عمر وابن ميمون الأودى قال: «رأيت فى الجاهلية قردًا زنا بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا»[١].

وصية النبى لشباب قريش

* ولهذا وصى النبى شباب قريش فقال ﷺ: «يا شباب قريش لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة»[٢].

مصيبة استحلال الزنى

* ومن المصائب التى ابتلى بها الشباب فى هذه الأيام قضية "استحلال الزنا" فيطلقون عليه زواجًا عرفيًا أو زواج الهبة أو زواج الدم أو زواج المسيار... وكل هذه بدع استحدثوها ليحلوا بها ما حرم الله تعالى، وقد تحدث عن هذا الصادق الذى لا ينطق عن الهوى قال النبى ﷺ: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم

---

(١) رواه البخارى. (٢) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يأتيهم لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله تعالى ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[١] والحر: هو استحلال الفروج الحرام[٢].

أقصى العقوبات فى الدنيا والآخرة

*** أما عن عقوبات الزنى فهى كثيرة وهى تكون فى الدنيا قبل الآخرة:**

- **عقوبات الزنا فى الدنيا**: ومنها ما يخص الزانى نفسه ومنها ما يعم الأمة بأسرها إذا انتشر فيها الزنى.

أما ما يخص الزانى فمنها شرعية ومنها قدرية، فأما الشرعية:

* **إقامة الحد**: وقد جعل الشرع جزاء الزانى الجلد إن كان الزانى غير محصن أى لم يسبق له الزواج ويجلد مائة جلدة لقوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ (النور: ٢) وقدم الزانية على الزاني لأنه فى الأغلب يكون بإرادتها ثم قال: ﴿**وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ (النور: ٢) فلا ينبغي للمؤمنين أن يلينوا أو يتعاطفوا أمام حدود الله ثم قال: ﴿**إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ (النور: ٢) من باب إلهاب الغضب لله ولدينه: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (النور: ٢) زيادة فى التنكيل ونقول: لو طبق هذا لخاف الزناه وفكر أحدهم ألف مرة قبل أن يقدم على هذه الجريمة، أما إن كان الزانى محصنًا فالرجم حتى الموت، وقد رجم النبى الغامدية وماعزًا.

وأما العقوبات القدرية التى قد تقع على الزانى نفسه فى الدنيا

(١) رواه البخارى.　　(٢) إغاثة اللهفان.

إن لم تقم عليه الشرعية :

١ - الفقر :

ففى الأثر أن الله تعالى يقول: «أنا الله مهلك الطغاة ومفقر الزناة».

قال عبد الرحمن البرقوقى: ووالله يمينًا لا حانثًا فيها ولا آثمًا لقد أدركت كثيرًا من تراثنا الذين كانوا من أغنيائنا الذين يشار إليهم، وبعد عشية وضحاها أضاعوا ضياعهم، وذهب الله بذهبهم، وكان سر هذه المتربة هو الزنا وحده[1].

٢ - أن يفعل بأهله مثله هذا :

* سبق قول النبى ﷺ : «وعفوا تعف نساؤكم»[2].

ونشرت جريدة الأهـرام قصة فى هذا المعنى فحكت أن شابًا كان جارًا لفتاة ونشـأت بينهما علاقة محرمة، وفى أحـد الأيام تكلم معها وخلا بها فاغـتصبها فحمـلت فلما ذهبت إليه تستنجـد به تخلى عنها فأخبرت أهلها بما حدث، فجـاءوا بالشاب فأنكر وقال: (اسألوها من أين جاءت بهذا الحمل!) - يتهمـها - يقول هذا الشاب: العجيب أنى بعد مـدة تزوجت فإذا بى ليلة العـرس أجد المفاجأة. . . أجـد امرأتى غير عذراء فـجلس حزينًا مهمومًا باكيًـا ثم حكى هذا الذى حدث له لأحد المشايخ فقال له الشيخ: "كما تدين تدان" ورحلت الأيام وفى إحدى الأيام كان عائدًا إلى البيت، فلما وصل إلى البيت سمع صراخًا من أمـه ففزع وسـألها عـن سبب هذا الـصراخ، فقـالت أمه: لـقد

---

(١) دولة النساء - صـ ٤١٧. (٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

اختطفت أختك، واغتصبت! فلما جاءوا بمن اغتصبها تخلى عنها وقال (اسألواها من أين جاءت بهذا الحمل!) فقال هذا الشاب: كما تدين تدان، ومرت الأيام وأنجب طفلة وكبرت وفى إحدى الأيام كان عائدًا إلى البيت فسمع صراخًا من زوجته فسألها عن السبب فقالت "ابن البواب اغتصب ابنتك"! فقال الشاب: كما تدين تدان!![1].

كما يدين الفتى يومًا يدان به
من يزرع الشوم لا يجنيه ريحانًا

وقال آخر:

أتغشى نساء الناس ثم تريد فى
نسائك منهم أن يكون أمان
كما كنت تغشاهم سيغشونك الورى
وأنت كما فيهم تدين تدان

وقال غيره:

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزن يزن به ولو بحماته
ومن اعتدى فى العرض غرم فى الدم

(١) من شريط (فتنة النساء) للشيخ محمد حسين يعقوب.

يا هاتـكًا حـرم الرجال وقـاطعًا
سـبل الكرام عـشت غـيـر مكرم
لو كـنت حـرًا من سـلالة طـاهر
مـا كنت هـتاكـًا لحـرمـة مسـلم

٢ - الابتلاء بالآفات الخلقية:

قال ابن القيم (رحمه الله): والزنى يجمع خلال - أى: صفات - الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفـاء بعهد، ولا صدق فى حديث، ولا محـافظة على صديـق، ولا غيرة تامـة على أهله، فالغـدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته[١].

وأما ما يخص الأمة من عقوبات:

١ - انتشار الأمراض والأسقام:

قال الـنبى ﷺ: «لم تظهـر الفاحـشة فى قـوم إلا ظهر فيـهم الطاعـون والأوجاع التى لـم تكن فى أسلافـهم»[٢] وتذكر بـعد هذا الحديث مرض الإيدز والسيلان والزهرى وأنفلوانزا الطيور. . . إلخ!

٢ - الزلازل:

قال عمر رضي الله عنه: إن الرجف من كثرة الزنا[٣].

(١) روضة المحبين - صـ ٣٦٨.
(٢) جزء من حديث صحيح رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى.
(٣) التبصرة صـ ٥٨١.

٣ - قصر الأعمار:

قال عطاء الخرسانى: إذا كانت خمس كان خمس: إذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة وإذا جار الحكام قحط المطر، وإذا ظهر الزنا كثر الموت، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة[١].

٤ - قلة المطر أو قلة فائدته:

قال عطاء بن أبى رباح: قال موسى (عليه السلام): يا رب هذا الغيث لا ينزل، وينزل فلا ينفع؟ قال: لكثرة الزنا وظهور الربا[٢].

٥ - انتشار العداوة والبغضاء:

قال ابن القيم عن الزنا: يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من فساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته وأخته وأمه وفى ذلك خراب العالم[٣].

٦ - نزع البركة من الأموال وقلة الدخل وانتشار البطالة:

قال أبو الحسن: «وإياك والزنا فإنه يمحق البركة ويهلك الدين».

ولعل السر فى هذا (ما يستهلكه الناس فى سبيل تحقيق رغباتهم

---

(١) التذكرة - للقرطبى - صـ ٥٣٦ - وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) التبصرة - صـ ٥٨١.

(٣) الداء والدواء، ص ١٣٤.

وبلوغ شهواتهم من الزنا فإن الزانية ليست كالزوجة تقنع بالقليل من زوجها إذ لا سبيل لها إلى غيره بل الزانية لا تستجيب لرغبة قرينها إلا أن يحكمها فى أمواله وممتلكاته لتصرفها فى الطيب والزينة وما يرفع قدرها عنده وعند الناس على أمثالها ونظائرها)[١].

فلو أننا حصرنا أموال العاهرات والزانيات لوجدناها تأخذ نسبة ليست بالقليلة بالنسبة لأموال الأمة الآن!.

٧ - إفساد النشء:

لأن الزانية إذ حملت من الزنا فإما أن تهلك أولادها أو تنبذهم عرض الطرقات ليكونوا لقطاء وتكون السبب فى ضياعهم أو هلاكهم وفى كل أمر من هذه الأمور آثام كبيرة لا يحتمل جزاؤها يوم القيامة لأنه داخل فى قتل النفس المحرمة.

وإما أن تكون ذات بعل فتلحقهم ببعلها فتفرض عليه ما لا يلزم به وتعطيهم من ماله ما ليس لهم فيه حق وتسلطهم على نسائه بأنهن محارم لهم وهن لسن بمحارم فينظرون ويباشرون ما قد حرم الله عليهم اعتقاد أنه حلال لهم وفى كل ذلك آثام بالغة الخطورة[٢].

---

(١) الزنا والشذوذ عبر التاريخ، ص ٢٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

* عقوبات الزنا فى الآخرة

١ - أنه من أشراط الساعة:

قال المعصوم ﷺ: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، وتشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد»[١].

٢ - إعراض الله عنهم:

قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ملك كذاب، وعائل مستكبر»[٢] وهذه من أعظم العقوبات، بل قد تكون أعظم من النار!

٣ - تنور الزناة:

قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى، فانطلقت معهما فإذا ببيت مبني على مثل بناء التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع، يوقد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أخمدت رجعوا فيها. قلت: ما هذا؟ قال: الزناة»[٣].

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى.

٤ - نتن الريح:

قال النبي ﷺ : «بينما أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي، فأخرجاني فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخًا وأنتنه ريحًا، كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قال هؤلاء الزانون والزواني»[١] ورؤيا الأنبياء وحي.

٥ - الخلود في النار:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨، ٧٠).

ومع هذا فباب التوبة مفتوح للتائبين مهما كان الذنب وكائنًا من كان فاعله.

٦ - احذر داعية الزنا:

* قال يزيد بن الوليد: يا بني أمية، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل السكر، فإن كنتم لابد بفاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا[٢].

---

(١) صحيح - صححه الحاكم، ووافقه الذهبي - وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.
(٢) تاريخ الخلفاء - صـ ٣٠٤ - إغاثة اللهفان - صـ ٢٣٩.

* ولسنا فى هذا المقام بصدد سرد الأدلة على تحريم الغناء، ولكننا بصدد إنقاذ شاب غارق فى بحـر الهوى، فإذا أرهقناه فى هذه الرسالة بالعتاب فمـا ذلك والله إلا لنخرجه من العذاب كما ذكـرنا فى مقدمة هذه الرسالة.

* والمقـصـود أنه من المـعلوم أن الغنـاء يبعـث المرء على تذكـر المحبوب ويـزيد من العشق وهو الحب المحرم - ومن وقـع فى العشق عز أن ينجو من الزنا.

* قال ابـن القيم: فـلعمـر الله كم من حـرة صارت بالـغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بيـن البرايا، وكم من ذى غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حـلت به أنواع الـبلايا، وكم أهدى للمـشغـوف به من أشـجان وأحزان، فلم يجد بدًا من قبول تـلك الهدايا، وكم جرع من غصة أو زال من نعمة، وجلب من نقمة وذلك منه من إحدى العطايا[1].

٧ - يا فتيات الإسلام... لا تضعن اللحم أمام الذئب الجائع!

حبى للنـاس ما تحبيـن لنفسـك

* أنا أعلم ماذا يـكون حال الفتاة حـين تُغتصب كـرهًا. إن الدنيا

---

(١) إغاثة اللهفان - صـ ٢٣٧.

تظلم أمام عينيها. إنها تتمنى أن تفر من هذا البلاء ولو إلى الموت!

إن الفتاة التى تظهر مفاتنها ومحاسنها أمام الناس هى فى الحقيقة مغتصبة لتلك النظرات. وأنا أعلم أيضًا ماذا يسبب هذا للشاب من ضيق وظلمة وما الله به عليم. فياليتك- أختاه- تحبين للناس ما تحبينه لنفسك!

سرعة الاستجابة

* والطريق إلى هذا أن تلتزم الفتاة بحجابها أو نقابها فترضى بذلك ربها وتسعد فى الدنيا والآخرة.

- لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١) أخذ نساء المهاجرات أزرهن فشققنها، فاختمرن بها.

- وعن أبى صالح ﷺ قال: قدم النبى ﷺ المدينة على غير منزل، فكان نساء النبى ﷺ وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩) يعنى: بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة.

- فيا أختاه... لا تستجيبى لدعاة الرذيلة والإباحية وليقل لسان حالك:

إليك عنى ! إليك عنى   فلست منك ولست منى

واعلمى أن فى الحجاب من الفضائل الكثـير كحفظ العرض، وطهارة القلب، وهو علامـة للعفة والحياء، وهو منع لـلأذى من الناس المصابين بأمراض القلوب، وفوق كل هذا هو مرضاة للرب تبارك وتعالى.

- وصدق من قال: "الإسلام دلَّل المرأة" فهـذا حق فقد وقع عنها كثير من التكاليف التى تجب على الرجل كالصلاة فى المسجد والصلاة فى وقت الحيض والنـفاس - وهذه هى الحالة الوحيـدة التى يحل أن يترك فيها الإنـسان الصلاة فخصها الله بالمرأة - ولا تسـافر إلا ومعها محرم إلى غير ذلك من تدليل الإسلام لها.

كشف الستار عن مؤامرة الأشرار

- وتسمع الفتـاة المسكينة دعاة الرذيلة يقولـون: لا للحجاب أو لا للنقاب ويظهرون مساوئ المحجـبات والمنتقبات. ونقول: إذا أردت أن تشوه اتجاهًا معينًا مهما كان حسنـه وجماله ومعقوليته فما عليك إلا أن تتخذ الـشاذين فيه النماذج الـتى تحاكم على أساسهـا هذا الاتجاه، أما الصالحون فيه فعليك أن تلتمس لهم السقطات التى لا يكاد ينجو منها بشر.

وهذا هو مـا يفعله هؤلاء فـى قضيـة النقاب والحـجاب، ولو أن مدرسًا خصوصيًا مثلاً اغتصب طالبة من طالباته لقلنا: إنها حالة شاذة لا تعمم، فلماذا نعمم هناك ولا نعمم هنا؟!

فـاحذرى أيـتهـا الأخت المسلـمة. . إنـهم حيـن يجـردونك من عبـوديتك وانقـيادك لله، لا يـرمون إلا إلى أن تقـعى فى عبـودية لا يرضاها أى إنسان لنفسه ألا وهى عبودية الشهوة الجامحة.

ألقاه فى اليم مكتوفًا...

* والمقصود أن بحجاب المرأة تكتمل الدائرة فالشاب يغض بصره والفتاة تستر نفسها، لكن أن تتـعرى المرأة وتظهر مفاتنها ثم تتعرض لما تكره من الشباب فنجرم الشباب[1] فهذا كالذى يطلب تجريم النار التى تشتعل إذا وقع عليها البنزين!!!

ألقاه فى اليم مكتوفًا وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء!!

وقد قال الرافعى: لو جاءنى شاب قد زنى بفتاه على قارعة الطريق لجلدته مرة وجـلدتها مرتين... مـرة لأنها زنت ومرة لأنهـا وضعت اللحم أمام الذئب الجائع!

٢٠ - من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

* ما أحلى التجارة مع الله تعالى.. إنهـا تجارة رابحة.. تبذل فيها القليل فتربح الكثير! وقد وعد الله عز وجل من ترك شيئًا محرمًا له أن يعيضه الـله خيرًا منه فى الدنيا قبل الآخـرة قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

---

(١) ولسنا بهذا نبرر أخطاء الشباب وإنما قصدنا تجفيف المنابع فذكرنا أصل المشكلة.

* قال ابن القيم: (ترك يوسف - عليه السلام - الفاحشة فعوضه الله أن مكنه فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وأتته المرأة صاغرة سائلة راغبة فى الوصال فتزوجها[1]، فلما دخل بها قال: هذا خير مما كنت تريدين.

فتأمل كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن أن مكنه فى الأرض ينزل منها حيث يشاء، وأذل له العزيز وامرأته، وأقرت المرأة والنسوة ببراءته، وهذه سنته تعالى فى عباده قديمًا وحديثًا إلى يوم القيامة. ولما عقر سليمان بن داود - عليهما السلام - الخيل التى شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح يسير متنها حيث أراد.

ولما ترك المهاجرون ديارهم وأوطانهم التى هى أحب شىء إليهم أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا وملكهم شرق الأرض وغربها ولو اتقى السارق وترك سرقة المال المعصوم لله لأتاه الله مثله حلالاً)[2].

وقد حكى ابن حزم فى طوق الحمامة حكاية تدل على هذا المعنى، فقال: ولقد حدثتنى امرأة أثق بها، أنها علقها فتى مثلها من الحسن وعلقته، وشاع القول عليهما فاجتمعا يومًا خاليين فقال: هلمى نحقق ما يقال فينا، فقالت: لا والله لا كان هذا أبدًا، وأنا أقرأ قول الله:

(١) لم يذكر الله تبارك وتعالى هذا فى كتابه وإنما هو كلام منقول من الأخبار القديمة.
(٢) روضة المحبين - صـ ٤٤٧.

﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)
قالت: فما مضى قليل حتى اجتمعنا فى حلال.

– المهم أن يكون هذا الترك لله، فإن الإخلاص ميزان الأعمال، والعمل إن كان لغير الله عُدَّ من حظوظ النفس ونوازع الهوى، فلا أجر عليه ولا ثواب.

٢١ - كن خفيف الغفلة:

بادر إلى التوبة

أخى الشاب... إذا وقعت فى معصية، فبادر إلى التوبة والندم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٣).

قال أبو بكر الواسطى: التأنى فى كل شىء حسن إلا فى ثلاث خصال: عند وقت الصلاة، وعند دفن الميت، والتوبة بعد المعصية[١].

* إنما يتزل التائب بمنزلة السائر فى طريق ما إلى هدفه لا يفكر إلا فى أعماله وآماله فإذا قدمه تخبط فى حفرة غير منظورة أو تمر بقشر فاكهة ملقاة وإذا المسكين يهتز ويضطرب ويهوى إلى الأرض.

إنه يخجل من سقطته ويقوم منها شديد الضيق والسخط.

وكذلك قد تزل قدم المؤمن وهو سائر فى طريقه إلى الله فيُلم بعمل لا ينبغى منه لا يكاد يتورط فيه حتى ينزع عنه وهو بادي الألم عميق

(١) تنبيه الغافلين – السمرقندى – صـ٦٩.

الحسرة. هذه السيئات لا تصم سيرة المؤمن ولا تهدم شخصيته[١].

إياك والتسويف

* وإياك - أخى - والتسويف، فإن أكثر صياح أهل النار من سوف، وغدًا لا تملكه، إنما تملك هذه الساعة التى تحياها الآن، فلا تؤخر توبتك فإن أمر الله غادٍ أو راح.

كان يزيد الرقاشى يقول: إلى متى تقول غدًا أفعل كذا. أغفلت سفرك البعيد ونسيت الموت أما علمت أن دون غدٍ ليلة تُخترم فيها أنفس أما رأيت صريعًا بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم؟![٢].

قال بعض العارفين: (إن ملك الموت - عليه السلام - إذا ظهر للعبد أعلمه أنه بقى من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحزافيرها يخرج منها على أن يقيم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلاً)[٣].

غاية أمنية الموتى فى قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح وأهل الدنيا يفرطون فى حياتهم فتذهب

---

(١) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى - صـ ١٦٤.

(٢) التبصرة - صـ ١٤٧.

(٣) الإحياء - الجزء الرابع - صـ ١٧.

أعمارهم فى الغفلة ضياعًا ومنهم من يقطعها بالمعاصى[١].

قال الحسن البصرى: (اتق الله يا بن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت).

حاول مرة أخرى

* فإذا تبت من الذنب ثم عدت إليه فى حالة غفلة بقصد أو بغير قصد فعاود التوبة مرة أخرى فإن الله لا يمل من المغفرة، يفتح بابه للعائدين التائبين.

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا - فقال: رب أذنبت فاغفر لى فقال له ربه: أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا فقال: رب أذنبت آخر فاغفره فقال: أعلم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا قال رب أذنبت آخر فاغفره لى فقال: أعلم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثًا فليعمل ما شاء» رواه البخارى. أى: لأنه كلما أذنب تاب وأناب وطلب المغفرة.

لا تيأس

* فإذا تكرر منك الذنب فلا تيأس فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ

(١) لطائف المعارف لابن رجب - صـ ٤٣٠.

مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

قال الإمام السعدى: (فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته ورحمته بعيدة منهم فلا تتشبهوا بالكافرين ودل هذا أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب) إنما جمع بينهما لأن القانط لا يطلب السعادة لقنوطه وأن المعجب لا يطلبها لظنه أنه طلبها[1].

* فالواجب عليك - أخى الشاب - إذا كان لك ذنب تعاود الوقوع فيه بين الحين والآخر أن تكثر من التوبة كما قال ﷺ: «ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه، لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنًا توابًا ناسيًا إذا ذكر ذكر» رواه الطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(وهذه ليست دعوة للرضا بالواقع كلا! ولا استحسان الوضع والإقامة عليه، إنما هو تذكير بالرجاء فى موضع اليأس، ودعوة إلى التوبة عند النسيان والتذكر عند الذكرى)[2].

---

(١) بحر الدموع - لابن الجوزى - صـ ١٤٠.

(٢) العادة السيئة نقلاً عن: احذروا العادة السيئة - صـ ٦٠.

الأمل نعمة.. ولكن..

فالأمل نعمة منَّ الله بها على عباده، ولولا الأمل لتوقفت الحياة وهلك الناس والمشكلة العظمى فى طول الأمل الذى ينسي الدار الآخرة ويدني الهمم، ويثبط العزائم، ويبطئ الأعمال الدينية، فترى أحدهم إذا اضطجع فوق فراشه فتح لعينيه باب الخلود فيدخل فيما لا نهاية له من الآمال والأمانى، ولو أن المستقبل مضمون، ونعيم العيش فيه محقق، لكان من العبث أن يشتغل الإنسان بشىء قبل حدوثه، فما بالك والمستقبل مجهول موهوم؟!

قال أحد الحكماء: قد أفرط الناس فى التعلق بالمستقبل حتى أشبهوا حمير إيطاليا، يجىء سائق الحمار بشىء من الحشيش الأخضر فيربطه فى طرف عود، ويربط الطرف الآخر بين أذنى الحمار ليصير متدليًا أمام عينيه، فيرمقه الحمار ويحاول الإسراع ليبلغ فاه وما هو ببالغه.

* وكذلك الغفلة قد تكون نعمة فى بعض الأحيان فلو أن الناس (كانوا من التيقظ وقصر الأمل وخوف الموت بحيث لا ينظرون إلى معاشهم وما يكون سببًا فى حياتهم لهلكوا)[1].

وخلاصة القول ما سيره الله على لسان الإمام ابن القيم (رحمه الله) حين قال: لابد من سنة - يعنى: نومه - الغفلة ورقاد الغفلة

---

(١) التذكرة للقرطبى - صـ ٩١.

ولكن كن خفيف النوم.

٢٢ - واستعينوا بالصبر:

بالصبر يرتفع القدر

* قال الحسن: وجدت الدنيا والآخرة فى صبر ساعة.

فبالصبر يرتفع القدر، حكى ابن الجوزى أن بعض النجارين كان يبيع الخشب وكان عنده قطعة آبنوس تحت الخشب فاشتريت منه فدخل دار الملك بعد مدة فإذا بها قد جعلت سريرًا للملك فوقف متعجبًا وقال: لقد كنت لا أعبأ بهذه فكيف وصلت إلى هذا المقام؟ فهتف به لسان المفهم نائبًا عنه، كم صبرت على ضرب الفؤوس ونشر المناشير حتى بلغت إلى هذا المقام[1].

صبر أهون من صبر

* أخى الشاب... اصبر على نظرة فإن الصبر على النظرة أسهل من الصبر على ما توجبه هذه النظرة.

- (امرأة مستحسنة مرت على رجلين، فلما عرضت لهما اشتهيا النظر إليها، فجاهد أحدهما نفسه وغض البصر، فما كانت إلا لحظة، ونسى ما كان، وأوغل الآخر فى النظر، فعلقت بقلبه فكان ذلك سبب فتنته وذهاب دينه)[2].

---

(١) المدهش - صـ ٤٨٢. (٢) ذم الهوى - صـ ٥٨.

الصبر على الأصحاب

* أخى الشاب - اصـبر نفسك مع أصـحاب الخير وإن خـالفتك نفسك عن هذا. وقد أمـر الله خير الخلق وأطهر الناس قلـبًا أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهه فكيف بنا نحن؟!

- الإنســان مدنى بطـبعه لابـد له من صاحـب حتى قـال بعض الحكماء: (ليس بإنسان من ليس له إخوان).

* وعدوى الأخـلاق تنتشـر بين الأصحـاب كعـدوى الأمراض، فالصاحب سـاحب، وقد أخبرنى أحد الشبـاب أنه قادر على الصلاح والاستقامة وهو ما زال مع أصحاب السوء، فلم يخبرنى عن كذبه غير حاله!

قال أحدهم: عالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وغلبتها، فغلبنى صاحب الخلق السوء.

جزاء الصبر فى الآخرة

* وفى الآخرة للصابرين ما ليس لغيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، وقال - تعالى -: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٢).

قال ابن القيم: فلما كان فى الصبر وهو حبس النفس عن الهوى

خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسعة الجنة، وقال أبو سليمان الداراني (رحمه الله تعالى) في هذه الآية: جزاهم بما صبروا عن الشهوات.

جهاد النفس

* وروح الصبر جهاد النفس، كما قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»[1].

قال سليمان بن داود (عليه السلام): إن القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده.

وقال علي كرم الله وجهه: (ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر).

وقال بعضهم: لا قوي أقوى ممن قوي على نفسه، ولا عاجز أعجز ممن عجز عنها.

ولقد بالغ بعض السلف في جهاده لنفسه، حتى قال محمد بن عمرو بن حزم: لقد أدركت أقوامًا لو أمروا أن لا يشربوا الماء ما شربوا حتى تنقطع أعناقهم!

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.

الصبر على النار

* فيا أخى. . . اصبر وجاهد نفسك، فإنما هذه الدنيا أيام قلائل ولا يعقل أن يتمتع بالشهوات فى سنوات معدودات وتعانى من مرارة يوم كان مقداره خمسين ألف سنة!

ولا يعقل أن الشاب الذى لم يصبر على شهوة ساعة، قادر على الصبر على نار أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهى الآن مظلمة، يأكل بعضها بعضًا (تكاد تميز من الغيظ)!!

قال بن شبرمة: (إنى لأعجب ممن يحتمى مخافة الضرر ولا يدع الذنوب مخافة النار)[1].

* قال ابن الجوزى: (من دخل النار ولو ساعة من نهار فقد ذاق العذاب الأليم وليجرب العاصى بنار الدنيا فهى جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم هل له طاقة أن يضع فيها أصابعه لحظة واحدة؟ فالواجب على العبد العاصى أن يبادر إلى التوبة قبل هجوم أجله وانقطاع عمله)[2]، وقال أحدهم: (استح من الله على قدر قربه من عقلك، وأطعه على قدر حاجتك إليه، وخفهُ بقدر قدرته عليك،

---

(١) العقد الفريد - لابن عبد ربه - الجزء الثالث - صـ ١٣٠.
(٢) التذكرة فى الوعظ لابن الجوزى.

واعصه بقدر صبرك على النار).

أيا شـابًا لرب الـعرش عـاص أتدرى مـا جزاء ذوى المعـاصى
سـعيـر للـعـصـاة لهـا زفـيـر وغـيـظ يوم يؤخـذ بـالنـواصى
فإن تصبر على النيران فاعصه وإلا كن عـن العـصـيـان قـاصِ
وفيـما قـد كسبت مـن الخطايا رهنت النفس فاجهد فى الخلاص

* *

خاتمـــة

* وأخيرًا يا شباب . . . بادروا إلى تنفـيذ ما قرأتم، فإنَّ من أعظم أسباب الحرمان التوانى، وكثرة العلم بدون العمل لا تنفع صاحبها كما لا ينفع ضوء الشمـس من لا يبصر، فإذا شرعتم فى العـمل فاجعلوا الصبر ديدنكم لأنَّ الطريق مملوء بالفتن، ولم لا وقد صبر أهل الباطل والأهواء فى طريقهم، وجاهدوا فى سـبيل إعلاء راية باطلهم، فنحن أهل الحق أولى بالثبـات والعمل دون خجل أو شعور بالرجـعية، فإن أعظم تقدم للمـسلمين؛ بل وللعالم أجمعـين فى الرجوع إلى الأولين والأخذ من ينابيع حكمتهم، والتـعلق بأطواق أخلاقهم، فإنها أطواق النجاة فى وسط أمواج الرذائل الهائجة.

* أسأل الـله - عز وجل - أن ينـفعنا بما علـمنا، وأن يعلمنـا ما جهلنا.

* اللهم لا تجعلنـا كالشمعة تضىء لـغيرها باحتراق نفـسها. . أو كالإبرة تكسو غيرها وهى عاريـة. . أو كالصراط يمر الناس عليه إلى الجنة ثم يهوي إلى النار. .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

خالد عبد الحميد

محتويات الكتاب